فى

رياض القرآن الكريم

إعـــداد

الدكتورة / عفاف على النجار

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة الأزهر - فرع البنات بالقاهرة

الجزء الثانى

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م



إلي من أحبه بقلبى كله

إلي من أرضيه بجهدي كله

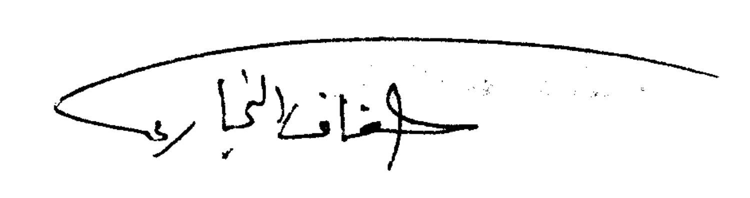
إلي من خلقني فسواني

إلي من رزقني ورباني

إلي من أطعمني وأسقاني

إلي من عصمني وكفاني

إلي "الله" جل علاه أقدم هذا العمل المتواضع خالصا لوجهه الكريم راجية أن يثيبني عليه يوم اللقاء



بسم الله الرحمن الرحيم

(هُوَ الَّذِي أنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وأُخَرُ مُتَشَابِهاتٌ فَأمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ماتَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ومايَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌ مِنْ عِندِ رَبِّنَا وما يَذَّكَّرُ إلاَّ أُوْلُو الألبَابِ) .

سورة آل عمران الآية ٧ .

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي رسوله الكريم ، المبعوث بخير ما أشرف علي الأرض من كتب السماء ، فأخرج به الناس من الظلمات إلي النور صلي الله تعالي عليه وعلي آله وصحبه أجمعين ومن إهتدي بهديهم إلي يوم الدين .

أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو روح الحياه الأبدية ، به تحيا القلوب والأرواح ، وفي نوره تسبح العقول الزكية ، وتتزود من فيض علومه زادها ، إذ تجد فيه الكمال الجامع والدواء الناجع والنور الساطع ومن ثم : كان أحظي الخلق بعطاء الله هم من أورثهم الله تعالي هذا الكتاب العظيم فكانوا الصفوة المصطفاه والخيرة المجتباه كما سجل التنزيل في محكم آياته : (ثُمَّ أورثَنَا الكِتَاب الَذيْنَ إصْطفِينَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُم ظَالِم لِنَفسِهِ وَ مِنهم مُقتصدُ وَ مِنْهُم سَابْقٌ بِالخَيْراتِ بِإِذنِ اللّهِ ذَلكَ هُوَ الفَضلُ الكَبير) [(١)] .

وقد كان أصحاب سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم ، هم الصف الأول من الأتقياء الذين ورثوا الكتاب وشافهوا الخطاب من رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فكانوا أوعية علوم القرآن وأساطين الفهم والتأويل فعرفوا من القرآن ما لم يعرفه سواهم ممن تلاهم .

---

(١) سوره فاطرالآية ٣٢ .

ولقد أثر عن الصحابة رضوان الله عليهم - من الإشارات والعبارات ما يدل علي رسوخهم وتبحرهم في علوم القرآن فها هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول " والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت ، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لآتيته " (١) .

ثم ها هو ذا حبر الأمة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - الذي قال له النبي صلي الله عليه وسلم " نعم ترجمان القرآن أنت " (٢)

يصرح سيدنا علي كرم الله وجهه بكشفه البصيري الذي سبر به غور محيط علوم التنزيل فقال : " ابن عباس كأنما ينظر إلي الغيب من ستر رقيق " (٣) .

بذا وقف الصف الأول من ورثة الكتاب المبين علي ما يعجز العقل عن حصره أو استقصائه من علوم القرآن .

وقد أحاط الصحابة رضوان الله عليهم بعلوم القرآن وارثين له عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، حتي قال ابن عباس " لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله " ثم ورث عنهم التابعون بإحسان ، ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما

---

(١) اخرجه مسلم في صحيحة ، كتاب فضائل الصحابة ١٦ / ١٧ شرح النووي .
(٢) انظر الإتقان للسيوطي ٤/٢٠٥.
(٣) تفسير القرطبي ١/٣٥.

حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه فنوعوا علومه ، وقامت كل طائفة بفن من فنونه :-

منهم القراء ، والمعربون والمفسرون ، والأصوليون ، والكلاميون ، والفقهاء ، والصوفية ، والوعاظ ، والخطباء ، وغير هؤلاء علي تباينهم ، وغير ذلك من الفنون .

وقد احتوي التنزيل علي علوم مثل : الطب ، والجدل والهيئة والهندسة ،وغير ذلك .

وفيه – أصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها ، كالخياطة والحدادة والتجارة والغزل والحراثة والصياغة والزجاجة والتجارة والملاحة والكتابة والخبازة والجزارة والبيع والشراء والصباغة والنحت والكيل والرمي .

وفيه من أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات ما تحقق معني قوله تعالي : (مَاَ فَرْطنَا فِي الكِتَاب مِن شيءٍ) [١]

إن إستقصاء علوم التنزيل فوق طاقة البشر ، بيد أن الضرورة العلمية تقتضي تدوين ما تمس به الحاجة من تلك المباحث والفنون التي يفتقر إليها في فهم المراد من النص القرآني كالناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والمجمل والمبين وأسباب النزول وغير ذلك .

---

(١) سورة الأنعام الآية ٣٨ .

ولقد كانت هذه المباحث القرآنية مستنبطة ومتضمنه في أحشاء المصنفات التفسيرية منذ جرت أسنة الأقلام بالتدوين للتفسير ، بيد أنها لم تأخذ وضعها المكتمل كعلوم مستوفاة الجوانب في مصنفات مستقلة بها جامعة لشتات العلوم القرآنية ومباحثها المتشعبة حتي القرن الخامس الهجري . وإنما كانت هناك مؤلفات سابقة تفرد كل منها بعلم من علوم القرآن علي حده وقد صنف بعضها في القرن الثاني ككتاب مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ) في (الوجوه والنظائر) وبعضها في القرن الثالث ككتاب علي بن المديني (٢٣٤هـ) في أسباب النزول وبعضها في القرن الرابع ككتاب أبي بكر السجتاني (سنة ٣١٦ هـ) في غريب القرآن .

أما في القرن الخامس الهجري فقد قال الشيخ الزرقاني [١] لكني ظفرت في دار الكتب المصرية بكتاب لعلي بن إبراهيم بن سعيد الشهير بالحوفي المتوفي سنة ٣٣٠ هـ إسمة " البرهان في علوم القرآن " وهو يقع في ثلاثين مجلداً ، والموجود منه الآن خمسة عشر مجلداً ، غير مرتبة ولا متعاقبة ، من نسخة مخطوطة " .

ولكن بالبحث في تاريخ هذا العلم تبيَّن خلاف ذلك ، قال الدكتورجودة المهدي : " وغير حقيقي ما ذهب إليه صاحب (مناهل العرفان) من أن

---

(١) مناهل العرفان ٢٤/١

أول مصنف ظهر معنوناً بهذا الإصطلاح هو ما إكتشفه في دار الكتب المصرية ويحمل إسم (البرهان في علوم القرآن) لأبي الحسن علي بن إبراهيم الحوفي (ت سنة ٤٣٠ هـ) فإن الإسم الحقيقي للكتاب كما ورد في المصادر العلمية هو (البرهان في تفسير القرآن) وقد نص علي ذلك الحافظ الداودي (في طبقات المفسرين) كما أورده صاحب : (كشف الظنون) (١) بهذه التسمية أيضاً ، وإنما حصل اللبس غالباً من عنوان المخطوط بالدار . بيد أن ثمة - في القرن الخامس مصنفاً آخر - يحمل إسم (البيان الجامع لعلوم القرآن) وقد عثرت علي عنوانه - بالتوفيق الإلهي - أثناء البحث في تاريخ هذا العلم في تراجم طبقات الداودي ، ومؤلف هذا الكتاب هو شيخ الإقراء أبو داود سليمان بن أبي القاسم نجاح المتوفي سنة ٤٩٦ هـ وقد ذكر في ترجمته أن مصنفه (البيان الجامع لعلوم القرآن) يقع في ثلاثمائة جزء (٢) - وقال - بكل أسف لم يحفظ لنا التاريخ من هذا التراث العظيم إلا الإسم " (٣) أ . هـ

وبهذا يمكن أن نقول : إن أول من صنف في هذا العلم بالمعني المدون هو أبو داود سليمان أبي القاسم المتوفي سنة ٤٩٦ هـ .

وفي القرن السادس : صنف الحافظ ابن الجوزي (ت سنة ٥٩٧ هـ) كتابين وهما : (فنون الأفنان في علوم ا لقرآن) و (المجتبي في علوم تتعلق بالقرآن) .

---

(١) أنظر طبقات المفسرين للداودي : ترجمة الحوفي ١/١٨١ - ٢٨٢ ، وكشف الظنون ١/٢٤١

(٢) طبقات المفسرين للراودي ١/٢٠٨ .

(٣) ثمار الجنان في أفنان من علوم االقران ص ١٢ ، ١٣

وفي القرن السابع صنف علم الدين السخاوي (ت سنه ٦٤١ هـ) : جمال القراء) كما صنف أبو شامة (ت سنه٦٦٥ هـ) كتاب (المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز) .

وفي القرن الثامن والتاسع بلغ التصنيف في علوم القرآن أوج النضج والإزدهار إذ صنف العلامة بدر الدين الزركشي (ت سنة ٧٩٤ هـ) كتابة (البرهان في علوم القرآن) تناول فيه سبعة وأربعين نوعاً من علوم القرآن وقد إعتمد عليه السيوطي في تأليف كتابة الإتقان الآتي ذكره ، ثم صنف أبو عبد الله الكافيجي (ت سنة ٨٧٣ هـ) كتاباً ذكره الإمام السيوطي في الإتقان ، غير أنه لم يشتمل إلا علي بابين تناول فيهما معني التفسير والتأويل والقرآن والسورة والآلة ثم شروط القول في القرآن بالرأي وختمهما بخاتمة في آداب العالم والمتعلم .

وفي القرن التاسع : صنف الإمام جلال الدين البلقيني كتابه الجامع (مواقع العلوم من مواقع النجوم).

ثم جاء العلامة الحجة الإمام جلال الدين السيوطي (ت سنة ٩١١ هـ) فصنف في علوم القرآن كتابين : أحدهما : (التحبير في علوم التفسير) ، والثاني : الذي يعد أعظم مرجع للعلماء والباحثين في علوم القرآن من عصره إلي الأن وهو (الإتقان في علوم القرآن) ذكر فيه ثمانين نوعاً من أنواع علوم القرآن والذي جعله مقدمة لتفسيره الكبير المسمي (مجمع

البحرين ومطلع البدرين) ومنذ تربع (الإتقان) علي مؤلفات علوم القرآن في القرن التاسع لم يتوقف علماؤنا الأجلاء عن الكتابة في هذا الميدان كالشيخ الطاهر الجزائري وكتابة (التبيان في علوم القرآن) ، والشيخ مصطفي صادق الرافعي وكتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) والدكتور محمد عبد الله دراز وكتابه (النبأ العظيم) ، والشيخ محمد علي سلامه وكتابه (منهج الفرقان في علوم القرآن) ، والأستاذ الرافعي وكتابه (إعجاز القرآن) ، والشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني وكتابه (مناهل العرفان في علوم القرآن) ، وألف الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية سابقا كتابه (الكلمات الحسان في الحروف السبعه وجمع القرآن) إلي غير ذلك من المؤلفات الكثيرة . وسيظل أزهرنا الشريف وبفكر أساتذته وباحثيه يعتني بالقرآن الكريم بدوام الذكر الحكيم الذي وعد الله سبحانه بحفظه حتي يرث الله الأرض ومن عليها (إِناَ نَحنُ نُزَلْنَا الذِكرَ وإِنِا لَه لَحَافِظُونَ) (١) .

وهذه دراسة أقدمها في رياض القرآن الكريم - الجزء الثاني - احتسبها عند الله تعالي ، آمله بث ذلك الشعاع - علي قدر طاقتي الكلة وجهدي القاصر - في قلوب وعقول تتوق إلي ضياء التنزيل وعسي الله

---

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

أن يزجيها بنفحات المن والجود والكرم ، فيسبغ علي عبيده من التوفيق والرشد والسداد مايبلغ به أقصي المراد من رب العباد .

وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

دكتورة

عفاف علي حسن النجار

استاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

فرع البنات بالقاهرة

ليلة الجمعة ٦ جمادي الأولي ١٤١٧هـ

١٩ سبتمبر ١٩٩٦ .

المبحث الأول
فى
﴿الإعجاز القرآنى﴾

هذا الكون الفسيح الملئ بمخلوقات الله تضاءلت جباله الشامخة ، وبحاره الزاخرة ، ومهاده الواسعة ، أمام مخلوق ضعيف هو الإنسان ، ذلك لما جمع الله فيه من خصائص ، ومامنحه من قوة التفكير التي تشع في الأرجاء لتسخر عناصر القوي الكونية ، وتجعلها في خدمة الإنسانية ، وما كان الله ليذر هذا الإنسان دون أن يمده بقبس من الوحي بين فترة وأخري يقوده إلي معالم الهدى ليسلك دروب الحياة علي بينة وبصيرة ، فكان رسل الله الذين يتنزل عليهم الوحي ويؤيدهم الله بخوارق العادات التي تقيم الحجة علي الناس فيعترفون أمامها بالعجز ، ويدينون لها بالولاء والطاعة ، ولكن العقل البشرى كان في أطوار نموه الأولى لايري شيئاًيأخذ بلبه أقوى من المعجزات الكونية الحسية حيث لايرقي عقله إلي السمو في المعرفة والتفكير ، فناسب هذا أن يبعث كل رسول إلى قومه خاصة ، وأن تكون معجزته فيما نبغ فيه قومه خارقة لما ألفوه ليتحقق بعجزهم عنها إيمانهم بأنها من قوي السماء ، فلما أكتمل العقل البشري أذن الله بفجر الرسالة المحمدية الخالدة إلي الناس كافة ، وكانت

معجزتها معجزة العقل البشرى في أرقي تطورات نضجه ونموه ، فبينما كان تأييد الله لرسله السابقين بآيات كونية تبهر الأبصار ولاسبيل للعقل إلي معارضتها ، كمعجزة اليد والعصا لموسى عليه السلام ، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتي بإذنه لعيسي عليه السلام ، كانت معجزة محمد ﷺ في عصر مشرف علي العلم معجزة عقلية تحاج العقل البشرى وتتحداه إلى الأبد ، وهى معجزة القرآن بعلومه ومعارفه وأخباره الماضية والمستقبلة .

ولقد كتب الله تعالي لمعجزة الإسلام الخلود ، فضعفت القدرة الإنسانية مع تراخي الزمن وتقدم العلم عن معارضتها .

تعريف الإعجاز وإثباته

الإعجاز : إثبات العجز ، والعجز في التعارف ، إسم للقصور عن فعل الشئ ، وهو ضد القدرة ، واذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز ، والمراد بالإعجاز هنا : إظهار صدق النبى ﷺ في دعوي الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضتة في معجزته الخالدة - وهي القرآن - وعجز الأجيال بعدهم .

والمعجزة : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة والقرآن الكريم تحدي به النبي ﷺ العرب ، وقد عجزوا عن معارضته مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة ، ومثل هذا لايكون إلا معجزاً .

فقد ثبت أن الرسول ﷺ تحدي العرب بالقرآن علي مراحل ثلاث :

أ- تحداهم بالقرآن كله في أسلوب عام يتناولهم ويتناول غيرهم من الإنس والجن تحديا يظهر علي طاقتهم مجتمعين ، بقوله تعالي:

(قُل لَّئِنِ اجتَمَعَتِ الإنسُ وَالجِنُّ عَلَي أن يَأتُوا بِمِثلِ هَذَا القُرءَانِ لاَيَأتُونَ بِمِثلِهِ وَلَو كَانَ بَعضُهم لبِعَضٍ ظَهِيراً) (١) .

ب - ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالي :

(أم يَقُولُونَ افتَرَاهُ ، قُل فَأتُواْ بِعَشرِ سُورٍ مِثلِه مُفتَرَيَاتٍ وَادعُواْ مَنَ استَطَعتُم مِن دوُنِ اللَّهِ إن كنُتُم صَادِقينَ ، فَإن لم يَستَجِيبُواْ لَكُم فَاعلَمُواْ أنَماَ أنزِلَ بِعِلمِ اللَّهِ) (٢) .

جـ- ثم تحداهم بسورة واحدة منه في قوله (أم يَقُولُونَ إفتَراهُ قُل فَأتُواْ بِسُورَةَ مِن مِثلِهِ) (٣) .

ومع توفر دواعي اللسان وقوة البيان ، ونبوغ العرب في الشعر والنثر لم يجدوا مسلكا لمحاكاته ، أو منفذا لمعارضته ، بل جري علي ألسنتهم الحق الذي أخرسهم عفو الخاطر عندما زلزلت آيات القرآن

(١) سور الإسراء الآية ٨٨ . التحدي وقع للإنس دون الجن ، لأن الجن ليسوا من أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن علي أساليبه وإنما ذكروا في قوله (قل لئن اجتمعت الإنس والجن) تعظيما لإعجازه لأنه إذا فرض اجتماع الإنس والجن وظاهر بعضهم بعضا وعجزوا عن المعارضه كان الفريق الواحد أعجز .

(٢) سوره هود الآيتان ١٣ ، ١٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣ .

الكريم قلوبهم كما أثر ذلك عن الوليد بن المغيرة ، وعندما عجزت حيلتهم رموه بقول باهت فقالوا : سحر يؤثر ، أو شاعر مجنون ، أو أساطير الأولين ، ولم يكن لهم بد أمام العجز والمكابرة إلا أن يعرضوا رقابهم للسيوف وبهذا ثبت إعجاز القرآن بلا مراء .

والإعجاز لم يكن للعرب فحسب بل لسائر الأمم علي مر العصور ظل ولايزال في موقف التحدي .

وجوه إعجاز القرآن (١)

اختلفت آراء علماء الكلام وتضاربت في وجوه إعجازه :

١ - مذهب أبو اسحاق ابراهيم النظام (٢) ومن تابعة كالمرتضي من الشيعة إلي أن إعجاز القرآن كان بالصرفة ، ومعني الصرفة في نظر النظام : أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها ، فكان هذا الصرف خارقاً للعادة . ومعناها أن الله سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن وهو قول فاسد بدليل قول الله تعالي :

(قُل لَئِنِ اجتَمَعَت الإِنسُ وَالجِنُ عَلَي أن يَأتُواْ بِمِثلِ هَذَا القُرءَانِ لاَيَأتُوَن بِمِثِلِه وَلَوكَانَ بَعضُهم لبِعضٍ ظَهِيراً) (٣) .

فإنه يدل علي عجزهم مع بقاء قدرتهم ، ولوسئلوا القدرة لم يبق فائدة لإجتماعهم ، لمنزلته منزلة اجتماع الموتي ، وليس عجز الموتي بكبير يحتفل بذكره وليس فيه صفة إعجاز .

وأيضا يلزم من القول بالصرفة فساد آخر ، وهو زوال الإعجاز ، بزوال زمان التحدي ، وخلوّ القرآن من الإعجاز ، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة ، فإنهم أجمعوا علي بقاء معجزة الرسول العظمي ، ولامعجزة له باقية سوي القرآن ، وخلوّه من الإعجاز يبطل كونه معجزة .

---

(١) ذكر العلماء في وجوه الإعجاز مايربو علي عشرة اوجه ، وسأقتصر علي أهمها .

(٢) هو أبو اسحاق ابراهيم بن سيار النظام شيخ الجاحظ ، وأحد رؤس المعتزله ، وإليه تنسب الفرقة النظامية ، توفي في خلافة المعتصم سنه بضع وعشرين ومائتين وانظر آراءه في الملل والنحل ٦٧/١ .

(٣) سورة الاسراء ٨٨ .

٢ - وقال قوم : وجه إعجازه مافيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة التي لايطلع عليها إلا بالوحي . أو الإخبار عن الأمور التي تقدمت منذ بدء الخلق ولم يكن ذلك من شأن العرب .

كقوله تعالي في أهل بدر (سَيُهزَمُ الْجَمعُ وَيُولُونَ الدُبُرَ) (١) وقوله : (لَقَد صَدَق اللَهُ رَسُولَهُ الرؤيَا بِالحَقِ) (٢) وقوله : (وَعَدَ اللَّهُ الَذينَ آمَنُواْ مِنكُم وَعمِلُواْ الصَالِحَاتِ لَيَستَخلِفَنَهُم فِي الأرضِ) (٣) وقوله : (الَمَ ، غُلِبَتِ الرُومُ ، فيِ أدنَي الأرضِ وَهُم مِن بَعدِ غَلَبِهِم سيَغلِبوُنَ) (٤) وقوله : (تِلكَ مِن أنباءِ الغَيبِ نُوحيهَا إلَيكَ مَاكنُتَ تَعلَمُهَا أنتَ ولاقَومُكَ مِن قَبلِ هَذَا) (٥) .

وهذا قول مردود ، لأنه يستلزم أن الآيات التي لاخبر فيها عن المغيبات المستقبله والماضية لا إعجاز فيها ، وهو باطل ، فقد جعل الله كل سورة معجزة بنفسها (٦) .

٣ - ماتضمن من إخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين ، حكاية من شاهدها وحضرها . وهو مردود كسابقه .

(١) سورة القمر الآية ٤٥ .

(٢) سورة الفتح الآية ٢٧ .

(٣) سورة النور الآية ٥٥ .

(٤) سورة الروم الآيات من ١ -٣ .

(٥) سوره هود الآية ٤٩ .

(٦) انظر البرهان للزركشي ٢/٩٥ - ٩٦ .

٤ - إخبار عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل ، كقوله تعالي :

(إذ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُم أن تَفشَلاَ) [١] ، وقوله : (وإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْك بِمَالَم يُحيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيقُولُونَ فِي أَنُفسِهِم لَولاَ يُعَذِبُنَا اللَّهَ) [٢] ، وقوله : (وَإِذ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحَدي الطَّآئِفَتَينِ أَنهَا لَكُم وَتَودُونَ [٣] الآية.

٥ - وقال الإمام فخر الدين : وجه الإعجاز الفصاحة ، وغرابة الأسلوب ، والسلامة من جميع العيوب .

٦ - وقال ابن عطية : الصحيح والذي عليه الجمهور والحذاق في وجه إعجازه ، أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه ، وذلك أن الله أحاط بكل شئ علما ، وأحاط بالكلام كله علما ، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن ، عَلِمَ بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولي وتبين المعني بعد المعني ثم كذلك من أول القرآن إلي آخره ، والبشر يعممهم الجهل والنسيان والذهول ، ومعلوم ضرورة أن أحدا من البشر لايحيط بذلك ، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوي من الفصاحة ، وبهذا يبطل قول من قال : إن العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله ، فصرفوا عن ذلك ، والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط ، ولهذا تري البليغ ينقح القصيده او الخطبة حولا ، ثم ينظر فيها فيغير فيها وهلم جرا ، وكتاب الله تعالي

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٢٢ .

(٢) سورة المجادلة الآية ٨ .

(٣) سورة الأنفال الآية ٧ .

لوَ نَزعْت منه لفظة ثم أدير لسان العرب علي لفظة أحسن منها لم يوجد . ونحن تتبين لنا البراعة في أكثره ويخفي علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق ، وجودة القريحة ، وقامت الحجة في معجزة موسي بالسحرة وفي معجزة عيس بالأطباء فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبرع ماتكون في زمن النبي الذي أراد إظهاره فكان السحر قد انتهي في مدة موسي إلي غايته ، وكذلك الطب في زمن عيسي ، والفصاحة في زمن محمد صلي الله عليه وسلم . (١)

والحقيقة أن القرآن معجز بكل مايتحمله هذا اللفظ من معني : فهو معجز في ألفاظه وأسلوبه ، والحرف الواحد منه في موضعه من الإعجاز الذي لايغني عنه غيره في تماسك الكلمة ، والكلمة في موضعها من الإعجاز في تماسك الجملة ، والجملة في موضعها من الإعجاز في تماسك الآية .

وهو معجز في بيانه ونظمه ، يجد فيه القارئ صورة حية للحياة والكون والإنسان وهو معجز في معانيه التي كشفت الستار عن الحقيقة الإنسانية ورسالتها في الوجود .

وهو معجز بعلومه ومعارفه التي أثبت العلم الحديث كثيرا من حقائقها المغيبة .

---

(١) مقدمة التفسير المطبوعة ، ونقلة الزركشي في البرهان ٢/٩٧ - ٩٨ .

وهو معجز في تشريعه وصيانته لحقوق الإنسان وتكوين مجتمع مثالي تسعد الدنيا علي يديه .

وقال الإمام الزركشي [١] " قال أهل التحقيق : إن الإعجاز وقع بجميع ماسبق من الأقوال لا بكل واحد عن انفراده ، فإنه جمع كله ، فلا معني لنسبته إلي واحد منها بمفرده مع اشتماله علي الجميع ، بل وغير ذلك ممالم يسبق .

فمنها الروعة التي في قلوب السامعين وأسماعهم ، سواء المقربين والجاحدين ، ثم إن سامعه إن كان مؤمنا به يداخله روعة في أول سماعه وخشية ، ثم لايزال يجد في قلبه هشاشة إليه ، ومحبة له ، وإن كان جاحدا وجد فيه مع تلك الروعة نفورا وعيّا ، لانقطاع مادته بحسن سمعه.

ومنها أنه لم يزل ولايزال غضا طريا في أسماع السامعين ، وعلي ألسنة القارئين .

ومنها جمعه بين صفتي الجزالة والعزوبة وهما كالمتضادين ، لايجتمعان غالباً في كلام البشر ، لأن الجزالة من الألفاظ التي لاتوجد إلا بما يشوبها من القوة وبعض الوعورة ، والعذوبة منها مايضادها من السلاسة والسهولة ، فمن نحا نحو الصورة الأولي فإنما يقصد الفخامة والروعة في الأسماع ، مثل الفصحاء من الأعراب وفحول الشعراء منهم ، ومن نحا نحوالثانية قصد كون الكلام في السماع أعذب وأشهي وألذ ،

---

(١) انظر البرهان في علوم القران ١٠٦/٢ – ١٠٧ .

مثل أشعار المخضرمين ومن داناهم من المولدين المتأخرين ، وتري ألفاظ القرآن قد جمعت في نظمه كلتا الصفتين ، وذلك من أعظم وجوه البلاغة والإعجاز .

ومنها جعله آخر الكتب غنيا عن غيره ، وجعل غيره من الكتب المتقدمه قد يحتاج إلي بيان يرجع فيه إليه ، كما قال تعالي :

(إِنَّ هَذَا القُرآنَ يَقُصُ علي بَنِي إِسرَائِيلَ أكثَرَ الَّذِي هُم فِيهِ يَختَلِفُونَ (١) .

ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور ، والجمع بين أشتاتها حتي تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قوي البشر ، ولاتبلغه قدرتهم ، فانقطع الخلق دونه ، وعجزوا عن معارضته بمثله ، أو مناقصته في شكله ، ثم صار المعاندون له يقولون مرة إنه شعر لما رأوه منظوما ، ومرة أنه سحر لما رأوه معجوزا عنه ، غير مقدور عليه . وقد كانوا يجدون له وقعا في القلوب ، وقرعا في النفوس ، يريبهم ويحيرهم ، فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعا من الإعتراف ، ولذلك قالوا : إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة . وكانوا مرة بجهلهم يقولون : (أَسَاطِيرُ الأوَلِينَ اكتَتَبَهَا فَهِيَ تُملَي عَلَيهِ بُكرَةَ وأصِيلاً) (٢) مع علمهم أن صاحبهم أمي ، وليس بحضرته من يملي أو يكتب في نحو ذلك من الأمور التي أوجبها العناد والجهل والعجز .

---

(١) سورة النمل الآية ٧٦ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٥ .

القدر المعجز من القرآن

لقد تحدي القرآن الكريم العرب ، وطاولهم في المعارضة ، وهم علي الرغم من هذه المطاولة كانوا ينتقلون من عجز إلي عجز ، ومن هزيمة إلي هزيمة وهو في كل مرة من مرات هذا التحدي وهذه المطاولة ، ينتقل من فوز إلي فوز ، ويخرج من نصر إلي نصر .

فكان أول ماتحداهم في سورة الطور فقال : (أم يَقُولونَ تَقُوله ؟ بَل لاَيُؤمِنُون فَليأتوا بِحديثٍ مثلِه إن كَانُواْ صادِقينَ) (١) .

فلما انقطعوا وعجزوا مد لهم في الحبل وقال في سورة هود : (أم يَقُولُونَ افَتَراه ؟ قل فَأتُواْ بِعَشرِ سُوَرٍ مِثلِهِ مُفتَرَياتٍ وَادعُواْ مَنِ استَطَعتُم مِن دوُن اللّهِ إن كُنتُم صَادِقِينَ ، فإَن لَّم يَستَجِيبوُا لَكُم فَاعلَمُواْ أنَمَاَ أُنزِلَ بِعِلمِ اللّه وأن لا إلهَ إلا هُوَ فَهَل أنتُم مُسلِمُونَ) (٢) .

فلما عجزوا هذه المرة أيضا ، طاولهم مرة أخري ، وأرخي لهم الحبل إلي آخره ، وقال في سورة البقرة : (وإن كُنْتُم في رَيبٍ مّمَّا نَزّلْناَ عَلي عَبْدناَ فَأتوا بِسُورةٍ مِن مِثْلهِ وَادْعُوا شُهَداءكُم مِن دونِ اللّه إن كُنتُم صَادِقِينْ . فإنْ لَمْ تَفعَلوا وَلن تَفعَلوا فَاتقُوا النَارَ الّتيِ وَقُودُها النَاسُ وَالحِجَارةُ أُعِدَّتْ لِلكَافِرينَ) (٣) فكان عجزهم بعد ذلك أشنع وأبشع ، وسجل الله عليهم الهزيمة أبد الدهر ، فلم يفعلوا ولن يفعلوا ودحضت حجتهم وافتضح أمرهم ، وظهر أمر الله وهم كارهون .

(١) سورة الطور الآية ٣٤ .

(٢) سورة هود الآتيان ١٣ ، ١٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣ .

ففي قوله تعالي : (فَإِن لَم تَفْعَلوا ولَن تَفعلوا) مبالغة في التعجيز ، وإفحاما لهم وفي قوله : (فَاتّقواْ النّارِ) مبالغة في الوعيد ، مع أن اللغة لغتهم والكلام كلامهم ، وهم علماء الفصاحة والبلاغة والبيان ، وناهيك بذلك أن الوليد بن المغيرة لعنه الله كان سيد قريش ، وأحد فصحائهم لماسمعه أخرِس لسانه ، وأطفئ بيانه ، وظهر عجزه ، وذهل عقله ، حتي قال : " قد عرفنا الشعر كله هَزَه ورجَزه وقريضَه ، ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ! قالت له قريش : فساحر ؟ قال وماهو بساحر ، قد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثه ولاعقده ، والله إن لقوله لحلاوه ، وإن عليه لطلاوة ، فإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، وإنه ليعلو ولايعلي ، سمعت قولا يأخذ القلوب قالوا : مجنون ، قال : لا والله ماهو بمجنون ولايخنقه ولابوسوسته ولارِعشته ، قالوا : كان ، قال : قد رأينا الكهان فما هو بزمزمه الكهان ولابسجعهم ، ثم حملته الحميه فنكص علي عقبيه وكابر حسه فقال : (إِن هٰذا إِلا سِحرٌ يُؤثَرُ ، إِنْ هَذَا إِلاَ قَولُ البَشَرِ) [1] .

وبهذا يتبين لنا أن القدر المعجز من القرآن هو مايقدر بأقصر سورة منه ، وأن القائلين بأن المعجز هو كل القرآن لابعضه وهم المعتزلة والقائلين بأن المعجز كل مايصدق عليه أنه قرآن ولو كان أقل من سورة كل أولئك بمنأي عن الصواب .

وأيا كان وجه الإعجاز ، أو القدر المعجز ، فإن الباحث المنصف الذي

---

(١) سورة المدثر الآيتان ٢٤ ، ٢٥ .

وأيا كان وجه الإعجاز ، أو القدر المعجز ، فإن الباحث المنصف الذي يطلب الحق إذا نظر في القرآن من أي النواحي : من ناحية أسلوبه ، أو من ناحية علومه ، أو من ناحية الأثر الذي أحدثه في العالم وغير به وجه التاريخ ، أو من تلك النواحي مجتمعة ، وجد الإعجاز واضحا جليا في هذه النواحي الثلاثة : ناحية الإعجاز اللغوي ، وناحية الإعجاز العلمي وناحية الإعجاز التشريعي .

* الإعجاز اللغوى

لقد مارس أهل العربية فنونها منذ نشأت لغتهم حيث شبت وترعرعت وأصبح في عنفوان شبابها عملاقا معطاء ، واستظهروا شعرها ونثرها ، وحكمها وأمثالها وطاوعهم البيان في أساليب ساحرة ، حقيقية ومجازا ، إيجازا وإطنابا ، حديثا ومقالا ، وكلما ارتفعت اللغة وتسامت ، وقفت علي أعتاب لغه القرآن في إعجازه اللغوي كسيرة صاغره ، تنحني أمام أسلوبه إجلالاً وخشية ، وما من حقبة من أحقاب التاريخ . ازدهرت فيها اللغه إلا وتطامن أعلامها وأساتذتها أمام البيان القرآني اعترافا بسموه ، وإدراكا لأسراره ولاعجب " فتلك سنة الله في آياته التي يصنعها بيديه ، لايزيدك العلم بها والوقوف علي أسرارها إلا إذعانا لعظمتها ، وثقة بالعجز عنها ، ولاكذلك صناعات الخلق ، فإن فضل العلم بها يمكنك منها ويفتح لك الطريق إلي الزيادة عليها ، ومن هنا كان

سحرة فرعون هم أول المؤمنين برب موسي وهارون " (١) .

والذين تملكهم الغرور ، وأصابتهم لوثة الإعجاب بالنفس ، وحاولوا التطاول علي أسلوب القرآن ، حاكوه بكلام فارغ أشبه بالسخف والتفاهة والهذيان والعبث ، وارتدوا علي أعقابهم خاسرين .

يذكر التاريخ أن مسيلمة الكذاب ، زعم أنه أوحي إليه بكلام القرآن ثم طلع علي الناس بهذا الهذر : " إنا أعطيناك الجماهر . فصل لربك وجاهر " وبهذا السخف : " والطاحنات طحنا ، والعاجنات عجنا والخابزات خبزا " فأين هذه الكلمات السوقية الركيكة من ألفاظ القرآن الرفيعة ومعانيه العالية ؟ .

وقد شهد التاريخ فرسانا للعربية خاضوا غمارها وأحرزوا قصب السبق فيها ، فما استطاع أحد منهم أن تحدثه نفسه بمعارضه القرآن ، إلا باء بالخزي والهوان ، ويروي التاريخ أن أبا العلاء المعري وأبا الطيب المتنبي وابن المقفع ، حدثتهم نفوسهم مرة أن يعارضوا القرآن ، فما كادوا يبدءون هذه المحاولة حيت انتهوا منها بتكسير أقلامهم وتمزيق صحفهم ؛ لأنهم لمسوا بأنفسهم وعورة الطرق واستحالة المحاولة .

والقرآن الذي عجز العرب عن معارضته لم يخرج عن سنة كلامهم ، ألفاظا وحروفا ، تركيبا وأسلوبا ، ولكنه في اتساق حروفه ، وطلاوة عبارته ، وحلاوة أسلوبة وجرس آياته ، ومراعاة مقتضيات الحال في

---

(١) النبأ العظيم صحفة ٨١ .

ألوان البيان ، في الجمل الإسمية والفعلية .. وفي النفي والإثبات ، وفي الذكر والحذف ، وفي التعريف والتنكير ، وفي التقديم والتأخير ، وفي الحقيقة والمجاز ، وفي الإطناب والإيجاز ، وفي العموم والخصوص ، وفي الإطلاق والتقييد .. وهلم جرا - ولكن القرآن في هذا ونظائره بلغ الذروة التي تعجز أمامها القدرة اللغوية لدي البشر (١) .

وإن كنت لاتفرق بين كلام وكلام فهذه شهادة حسبُك من شهادة وناهيك أنها شهادة أهل اللغة أنفسهم ، بل شهادة الأعداء لعدوهم .

وإذا لم ترَ الهلال فسلّم لأناس رأوه بالأبصار

وأما إن كنت قد أوتيت حظك من معرفة فروق الكلام والمَيْز بين أساليبه فاقرأ ماشئت من خطب العرب وأشعارها ، وحكمها وأمثالها ورسائلها ومحاوراتها ، متتبعا في ذلك عصور الجاهلية والإسلام علي اختلاف طبقاتها ، ثم افتح صفحة من هذا الكتاب العزيز وانظر ماذا تري؟ .

أسلوب عجب ، ومنهج من الحديث فذ مبتكر ، كأن ماسواه من أوضاع الكلام منقول ، وكأنه بينها علي حد قول بعض الأدباء « وضع مرتجل » لاتري سابقا جاء بمثاله ، ولا لاحقا طَبّع علي غراره فلو أن آية منه جاءتك في جمهرة من أقوال البلغاء لدلّت علي مكانها ، واستمازت من بينها كما يستميز اللحن الحساس بين ضروب الألحان ، أو الفاكهة الجديدة بين ألوان الطعام (٢) .

(١) راجع الإعجاز اللغوي في « النبأ العظيم » باختصار .
(٢) اعجاز القرآن للقاضي ابو بكر الباقلاني بتصرف .

الإعجاز العلمي

يخطئ كثير من الناس حين يحرصون علي أن يتضمن القرآن الكريم كل نظرية علمية ، وكلما ظهرت نظرية جديدة التمسوا لها محملا في آية يتأولونها بما يوافق هذه النظرية .

ومنشأ الخطأ في هذا أن العلوم تتجدد نظرياتها مع الزمن تبعا لسنة التقدم ، فلا تزال في نقص دائم يكتنفه الغموض أحيانا ، والخطأ أحيانا أخري ، وتستمر هكذا حتي تقترب من الصواب ، وتصل إلي درجة اليقين ، وأي نظرية منها تبدأ بالتخمين وتخضع للتجربة حتي يثبت يقينها ، أو يتضح زيفها وخطؤها ، ولهذا كانت عرضة للتبديل ، وكثير من القواعد العلمية التي ظن الناس أنها أصبحت من المسلمات تتزعزع بعد ثبوت وتتقوض بعد رسوخ ، ثم يستأنف الباحثون تجاربهم فيها مرة أخري .

والذين يفسرون القرآن الكريم بما يطابق مسائل العلم ، ويحرصون علي أن يستخرجوا منه كل مسألة تظهر في أفق الحياة العلمية يسيئون إلي القرآن من حيث يظنون أنهم يحسنون صنعا ، لأن هذه المسائل التي تخضع لسنة التقدم تتبدل ، وقد تتقوض من أساسها وتبطل ، فإذا فسرنا القرآن بها تعرضنا في تفسيره للنقائض كلما تبدلت القواعد العلمية ، أو تتابعت الكشوف بجديد ينقض القديم ، أو يقين يبطل التخمين .

ومن ثم فلا يصح أن نعلق الحقائق القرآنية النهائية بمثل تلك النظريات حتي لانقف محرجين عند ثبوت بطلان تلك النظرية .

ومن هنا يجب أن نتروي وأن ندرس بإمعان وننتظر حتي تثبت الحقيقة العلمية ثبوت اليقين قبل أن نتحدث عن ربطها بالقرآن الكريم .

فلا رفض للتفسير العلمي مطلقا ولاتأييد وتسليم له مطلقين بل بين حقيقتين : حقيقة قرآنية بالنص الذي لايقبل الشك ، وحقيقة علمية ثابته بالتجربة والمشاهدة القطعيين « فالعلم الحديث قد أثبت أنه لاتوجد حقيقة كونية واحدة تتصادم مع ماجاء في القرآن .. إن القرآن الكريم لايتصادم مع قوانين الكون .. أو مع خلق الكون .. ولكن هذا التصادم المزعوم يأتي أحيانا عن حقيقة علمية كاذبة يحاول الناس استغلالها ضد القرآن »[(١)] .

لهذا فلا بأس من ايراد حقائق علمية ثابتة لاتقبل الشك عند تناول النص القرآني مع ادراك معني النص وفهمه فهما سليما خاليا من الشوائب والمؤثرات الخارجية أو الميل به والإنحراف لموافقة تلك الحقيقة العلمية وهذا أيضا مشروط بـ :

١ – ألا تطغي تلك الباحث علي المقصود الأول من القرآن وهو الهداية والإعجاز .

٢ – أن تذكر تلك الأبحاث علي وجه يدفع المسلمين إلي النهضة

---

(١) معجزة القران للشيخ محمد متولي الشعرواي ص ٨٨ .

ويلفتهم إلي جلال القرآن ويحركهم إلي الإنتفاع بقوي هذا الكون الذي سخره الله لنا انتفاعا يعيد للأمة الاسلامية مجدها (١) .

٣ - أن تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الشعور الديني لدي المسلم والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها وبيان موافقة القرآن الكريم للحقائق العلمية الثابتة (٢) .

والقرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية ، يخاطب الضمير فيحي فيه عوامل النمو والإرتقاء ، وبواعث الخير والفضيلة .

وإعجازه العلمي ليس في اشتماله علي النظريات العلمية التي تتجدد وتتبدل وتكون ثمرة للجهد البشري في البحث والنظر ، وإنما في حثه علي التفكير ، فهو يحث الإنسان علي النظر في الكون وتدبره ، ولايشل حركة العقل في تفكيره ، أو يحول بينه وبين الإستزادة من العلوم ما استطاع إلي ذلك سبيلا ، وليس ثمه كتاب من كتب الأديان السابقة يكفل هذا بمثل مايكفله القرآن .

والقرآن الكريم يحث المسلم علي التفكير في مخلوقات الله في السماء والأرض . (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَي جُنُوبِهِم وَيَتَفَكَّرُون فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ رَبَّنَا مَاخَلَقتَ هَذَا بَاطِلاً سُبحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (٣) .

---

(١) مناهل العرفان للشيخ الزرقاني ٥٦٩/١ - ٥٧٠ .

(٢) منهج الدراسة العقليه الحديثة في التفسير لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ٢٨٣/١ .

(٣) سورة ال عمران الأيتان ١٩٠ - ١٩١ .

ويحثه علي التفكير في نفسه ، وفي الأرض التي يعمرها ، وفي الطبيعة التي تحيط به (أَوَلَمْ يَتَفَكَّروا فِي أنفُسِهم مَاَخَلق اللَّهُ السَمَوات وَالأرضَ وَمَابَينَهماَ إلاَ بِالحقِ وَأجلِ مُسَمَي) (١) .

وفي القرآن مع هذا إشارات علمية سيقت مساق الهداية فالتلقيح في النبات ذاتي وخلطي : والذاتي : ما اشتملت زهرته علي عضوي التذكير والتأنيث ، والخلطي : هو ماكان عضو التذكير فيه منفصلا عن عضو التأنيث كالنخيل ، فيكون التلقيح بالنقل . ومن وسائل ذلك الرياح ، وجاء في هذا قول الله تعالي (وَأَرْسَلنَا الرِيَاحَ لَواقِح) (٢) .

« والأكسجين » ضروري لتنفس الإنسان ، ويقل في طبقات الجو العليا ، فكلما ارتفع الإنسان في أجواء السماء أحس بضيق الصدر وصعوبة التنفس ، قال الله تعالي :

(فَمن يَرد اللَّهُ أن يَهدِيَهُ يَشْرحْ صَدَره للإسلاَمِ وَمَنْ يُردْ أن يُضِلَّه يَجْعلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرجاً كَأنما يَصَّعَّدُ فيِ السَّماءِ) (٣) .

وقد ساد الاعتقاد بأن الذرة هي الجزء الذي لايقبل التجزئة : وفي القرآن (وَمَايَعزُبُ عَن رَّبِّكَ مِنِ مّثقَال ذَرة فِي الأرضِ وَلاَفِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصغَرَ مِن ذَلِكَ وَلاَ أكبَرَ إلاَّ فيِ كِتَابِ مُبِينٍ) (٤) ولاأصغر من الذرة سوي تحطيم الذرة .

---

(١) سورة الروم الآية ٨ .
(٢) سورة الحجر الآية ٢٢ .
(٣) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .
(٤) سورة يونس الآية ٦١ .

تلك الإشارات العلمية ونظائرها في القرآن جاءت في سياق الهداية الإلهية ، وللعقل البشري أن يبحث فيها ويتدبر .

يقول الأستاذ سيد قطب في تفسير قوله تعالي : (يَسألُونَك عنِ الأهلة قُلِ هي مَواقِيتُ للناسِ وَالْحَجِ) [1] " اتجه الجواب إلي واقع حياتهم العملي لا إلي مجرد العلم النظري ، وحدثهم عن وظيفة الأهلة في واقعهم وفي حياتهم ولم يحدثهم عن الدورة الفلكية للقمر وكيف تتم وهي داخلة في مدلول السؤال : مابال القمر يبدو هلالا ..

والإجابة العلمية عن هذا السؤال ربما كانت تمنح السائلين علماً نظرياً في الفلك ، إذ هم استطاعوا ، بما كان لديهم من معلومات قليلة في ذلك الحين ، أن يستوعبوا هذا العلم ، ولقد كان مشكوكا فيه كل الشك ، لأن العلم النظري من هذا الطراز في حاجة إلي مقدمات طويلة ، كانت تعد بالقياس إلي عقلية العالم كله في ذلك الزمان معضلات .

من هنا عدل عن الإجابة التي لم تتهيأ لها البشرية ، ولا تفيدها كثيرا في المهمة الأولي التي جاء القرآن من أجلها وليس مجالها علي أيه حال هو القرآن ، إذ القرآن قد جاء لما هو أكبر من تلك المعلومات الجزئية ، ولم يجئ ليكون كتاب علم فلكي أو كيماوي أوطبي .. كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلتمسوا فيه هذه العلوم ، أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يتلمسوا مخالفاته لهذه العلوم ! .

---

(١) سورة الحج الآية ١٨٩ .

إن كلتا المحاولتين دليل علي سوء الإدراك لطبيعة هذا الكتاب ووظيفته ومجال عمله ، إن مجاله هو النفس الإنسانية والحياة الإنسانية وإن وظيفته أن ينشئ تصوراً عاماً للوجود وارتباطه بخالقه ، ولوضع التصور نظاماً للحياة يسمح للإنسان أن يستخدم كل طاقاته .. ومن بينها طاقته العقلية ، التي تقوم هي بعد تنشئتها علي استقامة ، وإطلاق المجال لها لتعمل - بالبحث العلمي - في الحدود المتاحة للإنسان - وبالتجريب والتطبيق ، وتصل إلي ماتصل إليه من نتائج ، ليست نهائية ولامطلقة بطبيعة الحال .

وإني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن ، الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ماليس منه ، وأن يحملوا عليه مالم يقصد إليه وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها .. كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه ! .

إن الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة ، أما مايصل اليه البحث الإنساني - أيا كانت الأدوات المتاحة له - فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة ، وهي مقيدة بحدود تجاربة وظروف هذه التجارب وأدواتها .. فمن الخطأ المنهجي - بحكم المنهج العلمي الإنساني ذاته - أن نعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية وهي كل مايصل إليه العلم البشري ! .

هذا بالقياس إلي « الحقائق العلمية » .. والأمر أوضح بالقياس إلي

النظريات والفروض التي تسمي « علمية » ومن هذه النظريات والفروض كل النظريات الفلكية ، وكل النظريات الخاصة بنشأة الإنسان وأطواره ، وكل النظريات الخاصة بنفس الإنسان وسلوكه .. وكل النظريات الخاصة بنشأة المجتمعات وأطوارها .. فهذه كلها ليست « حقائق علمية » حتي بالقياس الإنساني ، وإنما هي نظريات وفروض كل قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الإجتماعية . إلي أن يظهر فرض آخر يفسر قدراً أكبر من الظواهر أو تفسر تلك الظواهر تفسيرا أدق ! ومن ثم فهي قابلة دائما للتغيير والتعديل والنقص والإضافه ، بل قابلة لأن تنقلب رأسا علي عقب ، بظهور أداة كشف جديدة ، أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة .

وكل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة - أو حتي بحقائق علمية ليست مطلقة كما أسلفنا - تحتوي أولا علي خطأ مهنجي أساسي . كما أنها تنطوي علي معان ثلاثة كلها لايليق بجلال القرآن الكريم ....

الأولي : هي الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم ، أو الإستدلال له من العلم ، علي حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه ، ونهائي في حقائقه . والعلم مايزال في موضوعه ينقض اليوم ما أثبته بالأمس ، وكل مايصل إليه غير نهائي ولامطلق ، لأنه مقيد بوسط

الإنسان وعقله وأدواته وكلها ليس من طبيعتها أن تعطي حقيقة واحدة نهائية مطلقة .

والثانية : سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته وهي أنه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان بناء يتفق - بقدر ماتسمح طبيعة الإنسان النسبية - مع طبيعه هذا الوجود وناموسه الإلهي حتي لايصطدم الإنسان بالكون من حوله ، بل يصادقه ويعرف بعض أسراره ، ويستخدم بعض نواميسه في خلافته . نواميسه التي تكشف له بالنظر والبحث والتجريب والتطبيق ، وفق مايهديه إليه عقله الموهوب له ليعمل لا ليتسلم المعلومات المادية جاهزة ! .

والثالثة : هي التأويل المستمر - مع التمحل والتكلف - لنصوص القرآن كي نحملها ونلهف بها وراء الفروض والنظريات التي لاتثبت ولاتستقر . وكل يوم يجد فيها جديد »[1] .

---

(١) اقتبسنا هذه الفقرات من كتاب في ظلال القرآن ١/١٨٠ - ١٨٢ بتصرف .

الإعجاز التشريعى

أودع الله في الإنسان كثيرا من الغرائز والشهوات التي تؤثر عليه في سلوكياته وفي اتجاهات حياته ، ولئن كان العقل الرشيد يعصم صاحبه من الذلل فإن النزعات النفسية المنحرفة تطغي علي سلطان العقل ، ولايستطيع العقل أن يكبح جماحها في كل حال . لهذا كان لابد لاستقامة الإنسان من تربية خاصة لغرائزه تهذبها وتنميها ، وتقودها إلي الخير والفلاح .

وكثيرا ما يظلم الإنسان أخاه بدافع الأثرة وحب السيطرة ، فلو ترك أمر الناس دون ضابط يحدد علاقاتهم ، وينظم أحوال معاشهم ، ويصون حقوقهم ويحفظ حرماتهم لصار أمرهم فوضي ، ولذا كان لابد لأي مجتمع بشري من نظام يحكم زمامه ، ويحقق العدل بين أفراده .

وقد عرفت البشرية في عصور التاريخ ألوانا مختلفة من المذاهب والنظريات والنظم والتشريعات التي تستهدف سعادة الفرد في مجتمع فاضل ، ولكن واحدا منها لم يبلغ من الروعة ، والإجلال مبلغ القرآن في إعجازه التشريعي .

ومعني هذا أن القرآن الكريم جاء بهدايات تامة كاملة ، تفي بحاجات البشر في كل عصر ومصر ، وفاء لاتظفر به في أي تشريع ولافي أي دين أخر ويتجلي هذا إذا استعرضنا المقاصد النبيلة التي رمي إليها القرآن

في تشريعاته وهي :

أولا : اصلاح العقائد عن طريق تحرير وجدان الإنسان من سلطان الخرافة والوهم ، وفك أسره من عبودية الأهواء والشهوات ، حتي يكون عبدا خالصا لله ، يتجرد للإله الخالق المعبود الذي لا أول له ولا آخر ، قدير علي كل شئ ، عليم بكل شئ محيط بكل شئ ، وليس كمثله شئ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد اللَّهُ الصَمَدُ لَمْ يَلدْ وَلَم يُولَد وَلَم يَكُن لَه كُفُواً أحد) [١] .

(هُوَ الأولُ وَالآخِرُ وَالظَاهِر وَالباطِنُ وَهُو بِكلِ شَئٍ عَليمٌ) [٢] .

(كُل شَئ هَالِكٌ إلا وَجْهَهُ لَه الحُكْمُ وَإليه تُرْجَعون) [٣] .

(وكَان اللَّهُ عَلَي كُلِ شَئٍ قَدْيراً) [٤] .

(ألا إنهُ بِكُل شَئٍ مُحيطٌ) [٥] .

(لَيسَ كَمِثْله شَئ وَهو السَمِيعُ البَصيرُ) [٦] .

(لاتُدْرِكُهُ الأبصارُ وَهو يُدْرِكُ الأبصارَ وَهُوَ اللَطِيفُ الخَبِيرُ) [٧] .

ويؤكد القرآن الكريم وحدانية الله بالحجج القاطعة التي تقوم علي المنطق العقلي السليم يقول تعالي:(لَو كَانَ فيهمَا آلِهَةٌ إلاَّ اللَّهَ لَفَسدنَا) [٨].

---

(١) سورة الاخلاص .

(٢) سورة الحديد الآيه ٣ .

(٣) سوره القصص الآية ٨٨ .

(٤) سورة الأحزاب الآية ٢٧ .

(٥) سورة فصلت الآية ٥٤ .

(٦) سورة الشوري الآية ١١ .

(٧) سورة الأنعام الآية ١٠٥ .

(٨) سورة الانبياء الآية ٢٢ .

(قُل لَوْ كَانَ مَعهُ آلِهَة كَما يَقُولونَ إذا لابتَغواْ إلي ذِي العرشِ سَبيِلا) [١] .

ثانيا : إصلاح العبادات عن طريق ارشاد الخلق إلي مايزكي النفوس ويغذي الأرواح ويقوم الارادة ويفيد الفرد والمجتمع .

فالصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ، وحسب المسلم في تربيته أن يقف بين يدي الله خمس مرات في اليوم الواحد ، ويعلم أنه يؤدي فريضة الصلاة ، ويستقبل معه قبلة واحدة ، ويدعو بدعاء واحد وإن تباعدت الديار ، من هنا تمتزج حياته بشرع الله ، ويتمثل الوازع الأعلي نصب عينيه مابين كل صلاة وصلاة (إِنَ الصَلاةَ تَنْهَي عَنِ الَفْحشَاءِ وَالمُنكَر) [٢] .

والزكاة تقتلع من النفس جذور الشح ، وعبادة المال ، والحرص علي الدنيا ، وهي مصلحة للجماعة . فتقيم دعائم التعاون بين الأغنياء والفقراء ، وتشعر النفس بتكافل الجماعة شعورا يخرجها من ضيق الأثرة والإنفراد .

والصيام ضبط للنفس ، وتقوية للإرادة ، وحبس للشهوات ، وهو مظهر اجتماعي يعيش فيه المسلمون شهراً كاملا علي نظام واحد في طعامهم فالكل في لحظة واحدة عند سماع مدفع الإفطار يهرعون إلي طعام مرددين الدعاء المشهور " اللهم لك صمت وعلي رزقك فطرت " وعند سماع مدفع الإمساك بأمر الهي ينزع المسلم عن كل شهواته شهوة البطن

(١) سورة الإسراء الآية ٤٢ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٥ .

وشهوة الفرج مستشعرا رقابة الله تعالي له . وفي هذا قمة وروعة الإعجاز التشريعي .

وإذا انتقلنا إلي فريضة الحج فهو عبادة تروض النفس علي المشقة ، وتفتح بصيرتها علي أسرار الله في خلقه ، وهو مؤتمر عالمي يجتمع فيه المسلمون علي صعيد واحد فيتعارفون ويتشاورون ويدعون ربا واحداً .

ومن هنا فإن العبادات المفروضة تربي المسلم علي الشعور بالتبعة الفردية التي يقررها القرآن وينوط بها كل تكليف من تكاليف الدين ، وكل فضيله من فضائل الأخلاق ، قال تعالي :

(كُلِ امرئٍ بِماَ كَسبَ رَهِين) [١] .

ثالثا : إصلاح الأخلاق عن طريق إرشاد الخلق إلي فضائلها وتنفيرهم من رذائلها ، في قصد واعتدال وعند حد وسط لا إفراط فيه ولا تفريط .

وقد حض القرآن علي الفضائل المثلي التي تروض النفس علي الوازع الديني كالصبر فهو سلاح المؤمن ولابد منه لنجاحه وبدونه لاينتج مشروع ولايتم عمل من الأعمال ، لهذا عني القرآن بالصبر فمدحه ورفع منزلته وأعلي قدره وأثني علي المتحلين به ثناء لامزيد عليه وذكره في حوالي نيف وسبعين مرة ولم يذكر فضيلة اخري بهذا المقدار فهذا يدل علي عظم أمره وسمو مكانته لأنه أساس كثير من الفضائل بل هو أهمها فما من فضيلة إلا وهي محتاجة إليه لهذا أمر الله بالصبر ووعد

(١) سورة الطور الآية ٢١ .

الصابرين بالفلاح فقال تعالي : (يَاأيهُا الذينَ أَمَنُوا إصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاَبطُوا وَاتقُوا اللّه لَعَلْكم تُفلَحُونْ) [١] وقال : (وَاصْبِرْ عَلي مَاأصَابَكَ إن ذَلكَ منِ عَزمِ الأمور) [٢] ، (إنما يُوَفَّي الصَابروُنَ أجْرَهُم بغَيرِ حِساب) [٣] (وجَزَاهُم بِمَا صَبُروا جَنةً وَحَرِيرا) [٤] ، (وَبشِّرِ الصَابرين) [٥] .

ومن الفضائل التي أمر الله تعالي بها عباده فضيلة العدل ، فالعدل مطلوب في كل الأمور ، في حال الرضا والغضب وسواء أكان الخصم قريبا أم بعيدا ، غنيا أو فقيرا ، فقال في محكم كتابه : (يَاأيهُا الذَينَ أَمَنواُ كُونُوا قَوامِينَ بالقِسْطِ شُهَداءَ للّهِ وَلَوْ عَليَ أنْفُسِكُم أو الوَالدين وَالأقربينَ إن يَكنْ غَنياً أو فَقِيراً فاللّهُ أولي بِهمَاَ فَلا تَتَّبعواَ الهوي أن تَعْدلوا وإن تَلوُوا أو تُعرضوا فإن اللّه كَانَ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِيرا) [٦] ، وقال: (وإذا قُلتُمْ فأعدِلو وَلو كَانَ ذَا قُربيَ) [٧] .

وقال تعالي في فضيلة الحلم والعفو : (وَسَارعواْ إلِيَ مَغْفرَةٍ من رَبكْم وَجَنةٍ عَرضُها السَمَوُاتِ وَالأرضِ أعِدَتْ للُمَتقين الذَينَ يُنفِقونَ فيِ السَراءِ وَالضَراءِ والكاظِمِينَ الغَيظِ وَالعَافِينَ عَن الناسِ وَاللّه يُحبُ المحُسِنْين) [٨] .

---

(١) سورة آل عمران الآيه ٢٠٠ .
(٢) سورة لقمان الآية ١٧ .
(٣) سورة الزمر الآية ١٠ .
(٤) سورة الإنسان الآية ١٢ .
(٥) سورة البقرة الآية ١٥٥ .
(٦) سورة النساء الآية ١٣٥ .
(٧) سورة الأنعام الآية ١٥٢ .
(٨) سورة آل عمران الآيتان ١٣٣ ، ١٣٤ .

وقال تعالي في فضيلة التواضع : (تِلكَ الدارُ الآَخرة نَجْعَلها للَذَينَ لاَيُرِيدُونَ عُلُواً فيِ الأرْضِ وَلاَفَساداً وَالعَاقِبةُ لِلمُتَّقين) (١) ، فالتواضع يزيد الشريف شرفا ويرفع الوضيع حتي يصل إلي مقامات الأولياء والاصفياء فقال سبحانه وتعالي : (يُحبُهم وَيُحِبُونَه أذِلة عَلَي المُؤمِنينَ أعزةٍ عَليَ الكَافِرينَ) (٢) .

رابعا : إصلاح الأسرة ، لأنها نواة المجتمع ، فشرع القرآن الزواج استجابة لغريزة الجنس وإبقاء علي النوع الإنساني في تناسل طاهر نظيف .

ويقوم رباط الأسرة في الزواج علي الود والرحمة والسكن النفسي والعشرة بالمعروف ، ومراعاة خصائص الرجل وخصائص المرأة ، والوظيفة الملائمه لكل منهما . (وَمِن أياتِه أن خَلَقَ لَكُمْ مِن أنفُسِكُم أزوَاَجاً لِتَسكُنوا إلِيها وَجَعَلَ بَينَكُم مَودةً وَرَحمةً) (٣) .

(وَعاشِرُوهُن بِالمعرُوفِ) (٤) . (الرجَالُ قَوامُونَ عَليَ النِساءِ بِماَفَضَّلَ اللّهُ بَعضهُم عَلَيَ بَعضٍ وَبَما اَنْفَقواُ مِن اَموالِهمْ) (٥) .

خامسا : الإصلاح النسائي عن طريق حماية المرأة واحترامها وإعطائها جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية . قال تعالي (يَاأيُها النَاسُ

---

(١) سورة القصص الآية ٨٣ .

(٢) سورة المائدة الآية ٥٤ .

(٣) سورة الروم الآية ٢١ .

(٤) سورة النساء الآية ١٩ .

(٥) سورة النساء الآية ٣٣ .

اتَّقوا رَبَكُم الذي خَلقكُمْ مِن نَفسٍ واحدةٍ وَخلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِساءَ) (١) .

ويقول عز من قائل : (فاستَجَابَ لَهُم رَبُهُم أني لاأُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنكُم مِن ذَكَرٍ أو أُنثَي بَعضُكُم مِّن بَعضٍ) (٢) .

ويقرر القرآن حرية المرأة بأموالها بقوله تعالي : (لِلرِجَالِ نَصيبُ مِمَّا اكتَسبواْ وَلِلنِسَاءِ نَصيبُ مَما اكتَسْبن) .

والزوج هو الذي يدفع المهر ويقوم بالإنفاق علي زوجته وأولاده وتأمين المسكن لهم لقوله تعالي : (وَأتَوا النِساءَ صَدُقَاتِهِنْ نِحْلةً) (٣) .

وأمر القرآن الكريم الأزواج بالصبر علي المعاشرة بالمعروف حتي مع الكراهية ، فقد يكره الإنسان أمراً ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قال تعالي مخاطبا الأزواج (وَعَاشِرُوهُنَّ بالمْعْرُوفِ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَ فَعسيَ أَنْ تَكْرَهُواْ شَيئاً وَيَجَعْلُ اللَّهُ فِيهِ خَيراً كَثيراً) (٤) .

ويقول تعالي مخاطبا الأزواج إذا طلقوا زوجاتهم : (أَسْكنُوهُنَّ مِن حَيثُ سَكَنتمْ من وِجْدِكُمْ وَلاَتُضَارَوهُنَّ لِتُضَيقُوا عَلَيْهِن ، وَإِنْ كُنَ أُولاَتُ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيهِنَّ حَتَيَ يَضَعْنَ حَمْلهُنَ ، فَإِن أرضَعَنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَ أُجورَهُنَّ) (٥) .

---

(١) سوره النساء الآية ١ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩٥ .

(٣) سورة النساء الآية ٤ .

(٤) سورة النساء الآية ١٩ .

(٥) سورة الطلاق الآية ٦ .

سادسا : إصلاح الإجتماع عن طريق إرشاد الخلق إلي توحيد صفوفهم ومحو العصبيات وإزالة الفوارق التي تباعد بينهم ، وذلك بإشعارهم أنهم جنس واحد من نفسي واحدة قال تعالي :

(يَا أَيُّها النَاسُ إِنَّا خَلقَنَاكُمْ مِن ذَكَرٍ وَأُنثي وَجَعلنَاكُم شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارفُوا إِنَّ أَكْرمَكُمْ عِنِدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (١) ، وأنهم أمة واحدة يؤلف بينها المبدأ ولاتفرقها الحدود الإقليمية ولا الفواصل السياسية (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَتِكُمْ أُمَةً وَاحدةً وَأَنَا رَبُكُمْ فَاتقُونْ) (٢) .

سابعا : اصلاح السياسة والحكم الذي يسود المجتمع المسلم ، وقد قرر القرآن قواعد الحكومة الإسلامية في أصلح أوضاعها .

فهي حكومة الشوري والمساواة ومنع السيطرة الفردية .

(وَشَاوِرْهم فيِ الأَمرِ) (٣) .

(وَأَمْرهُم شُورِيَ بِينَهُم) (٤) .

والتشريع في الحكومة الإسلامية ليس متروكا للناس ، فقد قرره القرآن والخروج عنه كفر وظلم وفسق .

(وَمَنْ لَم يَحْكُمْ بمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولئِك َهُمُ الكَافِروُنَ) (٥) .

ثامنا : الإصلاح المالي عن طريق الدعوة إلي الإقتصاد وحماية المال من

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٩٢ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٤) سوره الشوري الآية ٣٨ .

(٥) سورة المائده الآية ٤٤ .

التلف والضياع ، ووجوب انفاقه في وجوه البر وأداء الحقوق الخاصة والعامة والسعي المشروع يقول عز من قائل : (يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِ مَسجدٍ وكُلُوا واشْرَبُوا وَلاَتُسرِفُواْ) [١] .

(وَالَذينَ إذَا أنْفقواْ لَم يُسرِفُوا وَلَمْ يُقْتروا وَكَانَ بَينَ ذَلكَ قَواماً) [٢] .

(إنَ المُبِذّرينَ كَانُواْ إخوانَ الشيَاطِين وكَانَ الشَيطانُ لَربه كَفُورا) [٣].

(وَلاَتَجعَل يَدَكَ مَغلولَةً إلي عُنَقِك وَلاَتُبسطْهَا كُلَ البَسْطِ فَتقعُدَ مَلوُماً محَسُورا) [٤] .

(.. ولاَتأكُلوا أموالَكُمْ بَينَكُمْ بالبَاطِلْ) [٥] .

(وَالَذينَ يَكْنِزُونَ الذَهَبَ وَالفِضَّةَ وَلاَيُنفِقُونَها فِي سَبِيل اللَّهِ فَبَشِرهُم بِعذاب أليم يومَ يُحْمَيَ عَلَيها فِي نَار جَهَنَّم فَتُكْوِيَ بهَا جِباهُهُم وَظُهُورُهُمْ هَذَا ماكنزتُم لأنْفُسِكُم فَذُوقُوا مَاكُنتُم تَكنِزُونَ) [٦] .

تاسعا : صيانة الكليات الخمسة الضرورية للحياة الإنسانية : النفس ، والعرض ، والمال ، والعقل ورتب عليها العقوبات المنصوصة ، التي تعرف في الفقه الإسلامي بالجنايات والحدود .

(وَلكُمْ فيِ القِصاصِ حَياةٌ يَاأوُلي الألْبابِ) [٧] .

---

(١) سورة الأعرف الآية ٣١ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٦٧ .

(٣) سورة الاسراء الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) سورة الاسراء الآية ٢٩ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٨٨ .

(٦) سورة التوبة الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .

(٧) سورة البقرة الآية ١٧٩ .

(وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ منهما مَائَةَ جَلْدَةٍ) (١) .

(وَالذِينَ يَرمُونَ المُحصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يأتوا بأَربَعَةِ شُهداء فَاجْلِدُوهُم ثَمانين جَلْدَةً) (٢) .

(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيدِيَهُمَا) (٣) .

عاشرا : تقرير العلاقات الدولية في الحرب والسلم بين المسلمين وجيرانهم أو معاهديهم ، وهي أرفع معاملة عرفت في عصور الحضارة الإنسانية .

وخلاصة القول : أن القرآن دستور تشريعي كامل يقيم الحياة الإنسانية علي أفضل صورة وأرقي مثال ، وسيظل إعجازه التشريعي قرينا لإعجازه العلمي وإعجازه اللغوي إلي الأبد ، ولايستطيع أحد أن ينكر أنه أحدث في العالم أثرا غير وجه التاريخ .

* * * *

---

(١) سورة النور الآية ٢ .

(٢) سورة النور الآية ٤ .

(٣) سورة المائدة الآية ٣٨ .

المبحث الثانى
فى
﴿ المحكم والمتشابه ﴾

المحكم لغة : مأخوذ من حكمت الفرس وأحكمته إذا منعته وكففته إذا جعلت له حكمة وهي ماأحاط بالحنك من اللجام لأنها تمنع الفرس عن الإضطراب ، ويقال : حكمت السفنية وأحكمته إذا اخذت علي يديه ، وبه سمي الحاكم لأنه يمنع الظالم ، وقيل : احكم اليتيم كما تحكم ولدك أي امنعه عن الفساد ، وسميت الحكمة حكمة لأنها تمنع عما لاينبغي ، وإحكام الشئ اتقانه ، والمحكم المتقن [١] .

فإحكام الكلام اتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره ، والرشد من الغي في أوامره :

ولقد جاء في القرآن الكريم مايدل علي أنه كله محكم قال الله تعالي : (الَرَ ، كِتَابُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَت مِن لَّدُن حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [٢] .(الَر ، تِلكَ أَيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ) [٣] . فالقرآن كله محكم علي هذا المعني .

والمتشابه لغة : الشبه والشبيه : المثل ، وأشبه الشئُ الشئَ : ماثله . والمشتبهات من الأمور : المشكلات ، والمتشابهات : المتماثلات وفي التنزيل (مِنهُ آيَات مُحكَمَاتُ هُنَّ أمُ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَات) [٤]. وقيل :

(١) لسان العرب ١٢ / ١٤٤ .

(٢) سورة هود الآية ١ .

(٣) سورة يونس الآية ١.

(٤) سورة آل عمران الآيه ٧ .

معناه يشبه بعضها (١).

وتشابه الكلام : هو تماثله وتناسبه بحيث يصدق بعضه بعضا ، وقد وصف الله القرآن كله بأنه متشابه علي هذا المعني فقال (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ) (٢) . فالقرآن كله متشابه وقد دلت كلا من آيتي : (هود) و (الزمر) علي المعاني اللغوية ، وآية (آل عمران) علي المعاني الاصطلاحية التي سنبينها إن شاء الله .

وقد ظاهر انقسام القرآن الكريم إلي محكم ومتشابة - بالمدلول الإصطلاحي إلي جانب وجود المقابلة بينهما في قوله تعالي : (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ..) : وجود هذا التقابل الآخر الماثل في تتمة الأية الكريمة (فَأَماَ الذّينَ فِي قُلوَبِهْم زيغُ فُتبتَغُونَ مَا تَشَابهُ مُنه إبتِغاءَ الفِتنةِ وإبتَغاءَ تَأويلهُ وَمايَعلمُ تَأويلهُ إلاَ اللّهُ وَالرَسِخُونَ فِي العِلمِ يَقُولُونَ أمنا بِهِ كُلُ مِنْ عِندِ رَبِنَا وَمَاَيذّكَرُ إلاَ أُولوا الألبَابِ) حيث قابل بين الزائفين والراسخين لتقابل موقفيهما من المتشابه ..

ثم إنه تعالي قد جعل الآيات المحكمات أماً للكتاب ولذلك سر ساقه الفخر الرازي إذ قال : (مامعني كون المحكم أما للمتشابه ؟

وأجاب قائلا : الأم في حقيقة اللغة : الأصل الذي يكون منه الشئ ، فلما كانت المحكمات مفهومة بذواتها ، والمتشابهات انما تصير مفهومة بإعانة المحكمات : لاجرم صارت المحكمات كالأم للمتشابهات (٣) . والإمام الشاطبي

---

(١) لسان العرب ١٣ /٥٠٤ .

(٢) سورة الزمر الآية ٢٣ .

(٣) انظر مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي ١٧٣/٧ .

يري أن قوله تعالي في المحكمات (هن أم الكتاب) يدل علي أنها المعظم والجمهور ، وأم الشئ : معظمة وعامته ، كما قالوا : أم الطريق ، بمعني معظمة (١) .

أي أنه يشبه بعضه بعضا في الكمال والجودة ، ويصدق بعضه بعضا في المعني ويماثلة .

وكل من المحكم والمتشابه بمعناه المتقدم لاينافي الآخر ، فالقرآن كله متقن ومتماثل فإذا أمر القرآن بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر ، فلا تضاد فيه ولا اختلاف قال تعالي (وَلَوْ كانَ مِنْ عِندِ غَيرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيِهِ اخْتِلَافًا كَثِيراً) (٢) .

وقد جاء في القرآن الكريم مايدل علي أن بعضه محكم ، وبعضه متشابه قال تعالي : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا ومايذكرإلا أولوا الألباب) (٣) .

وقد اختلف العلماء في تحديد المعني الاصطلاحي للمحكم والمتشابه علي أقوال (٤) :

---

(١) انظر : الموافقات لأبي اسحق الشاطبي ٥٧/٣ .

(٢) سورة النساء الآيه ٣٢ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٧ .

(٤) راجع هذه الأقوال في الإتقان ٤.٣/٣ ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، البرهان في علوام القرآن ٦٩/٢، ٧٠ ، مناهل العرفان ١٦٨/٢ ، ١٦٩ .

القول الأول : أن المحكم ما عُرِف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل ، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه ، كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعه في أوائل السور .

القول الثاني : أن المحكم ماوضح معناه ، والمتشابه نقيضه .

القول الثالث : أن المحكم مالايحتمل من التأويل إلا وجها واحداً ، والمتشابه ما احتمل أوجها .

القول الرابع : أن المحكم ماكان معقول المعني والمتشابه بخلافه ، كأعداد الصلوات واختصاص الصيام برمضان دون شعبان ، قاله الماوردي .

القول الخامس : أن المحكم ما استقل بنفسه ، والمتشابه مالايستقل بنفسه إلا برده إلي غيره .

القول السادس : وهو ماثور عن الإمام ابن عباس ومجاهد رض الله عنهما أن المحكم : ما أحكم الله تعالي فيه بيان حلاله وحرامه ، والمتشابة : ما أشبه بعضه بعضا في المعاني وإن اختلفت ألفاظه [١] وقد اثرت روايات عديده للإمامين تؤكد هذا الرأي .

---

(١) انظر تفسير الطبري ١١٥/٣ .

فقد أخرج الإمام السيوطي عن الإمام ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : (المحكمات : الحلال والحرام) كما أخرج عنه أنه قال في قوله تعالي (فِيهِ آيَاتٌ مُحكَمَاتٌ) قال : من هاهنا (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ..) [١] ، إلي ثلاث آيات ، ومن ههنا : (وَقَضَي رَبُّكَ ألاَّ تعْبدوا إلا إياهُ) [٢] إلي ثلاث آيات بعدها .

وأخرج عن مجاهد أنه قال : (المحكمات : مافيه الحلال والحرام ، وماسوي ذلك منه متشابه يصدق بعضه بعضا [٣] .

وكذلك أخرج السيوطي عن عكرمة وقتاده أن المحكم : الذي يعمل به ، والمتشابه : الذي يؤمن به ولايعمل به [٤] .

وقد عقب الشيخ الزرقاني علي هذا الرأي فقال : « فيه قصراً للمحكم علي ماكان من قبيل الأعمال ، وقصرا للمتشابه علي ماكان من قبيل العقائد ، وإطلاق القول فيها علي هذا الوجه غير سديد فإن أرادوا بالمحكم أنه هو الواضح الذي يؤخذ بمعناه علي التعيين ، وبالمتشابه ماكان خفيا يجب الإيمان به دون تعيين لمعناه ، نقول : إن أرادوا ذلك فالعبارة قاصرة عن أداء هذا المراد » انتهي .

وقد أعجبني رد الدكتور/ جودة المهدي [٥] علي هذا التعقيب حيث قال:

---

(١) سوره الأنعام الآيات ١٥١ - ١٥٣ .

(٢) سوره الإسراء الآيات ٢٣ - ٢٥ .

(٣) انظر الاتقان ٤/٣ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

(٤) المرجع السابق ٥/٣ .

(٥) ثمار الجنان في افنان من علوم القرآن ص ٢٩ ، ٣٠ .

« إن ماذهب إليه صاحب (المناهل) من أن كلام الإمامين - ابن عباس ومجاهد وكذلك : عبارة قتادة وعكرمة رضوان الله عليهم أجمعين يفيد قصر المحكم علي ماكان من قبيل الأعمال ، وحصر المتشابه فيما كان من قبيل العقائد : غير متحقق وإن كان متعلقه الأوامر والنواهي ، أو الحلال والحرام .

وقال : ألا تري أن الإمام ابن عباس - رضي الله عنهما - قد فسر المحكمات بوصايا سوره الأنعام : (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَاحَرَّمَ رَبُكمُ عَلِيكُم ألا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئاً ..) الخ والوصية الأولي فيها هي النهي عن الإشراك بالله تعالي ومفاده : الأمر بالتوحيد وهو من قبيل العقائد ؟؟ وكذلك افتتحت وصايا (الإسراء) بقوله تعالي : (وَقَضَي رَبُكَ ألا تَعبدُوا إِلا إياهُ ..) وهو أمر بتوحيده سبحانه وتعالي في العبادة والعقيدة روح العبادة وروح الأعمال ذاتها ، فمن الممكن قطعا أن تدخل الأمور العقدية في سياق الأوامر والنواهي ، وتكون حينئذ محكمة لا لبس فيها ، ثم يتبدد الفصل المزعوم بين العقائد والأعمال في نطاق الحلال والحرام أو الأوامر والنواهي لاسيما إذا سلمنا بأن الإعتقادات إنما هي أعمال القلوب !! .

القول السابع : وهو لابن الحصار : أن الله تعالي قسم آيات القرآن إلي محكم ومتشابه ، وأخبر عن المحكمات أنها أم الكتاب ، لأن إليها ترد المتشابهات ، وهي التي تعتمد في فهم مراد الله في كل ماتعبّدهم به من معرفته وتصديق رسله وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، وبهذا

الاعتبار كانت أمهات ، ثم أخبر عن الذين في قلوبهم زيغ أنهم هم الذين يتبعون ماتشابه منه ، ومعني ذلك أن مَنْ لم يكن علي يقين من المحكمات ، وفي قلبه شك واسترابة كانت راحته في تتبع المشكلات المتشابهات ، ومراد الشارع منها التقدم إلي فهم المحكمات ، وتقديم الأمهات ، حتي إذا حصل اليقين ورسخ العلم لم تبل بما أشكل عليك ومراد هذا الذي في قلبه زيغ التقدم إلي المشكلات ، وفهم المتشابه قبل فهم الأمهات ، وهو عكس المعقول والمعتاد والمشروع ، ومثل هؤلاء مثل المشركين الذين يقترحون علي رسلهم آيات غير الآيات التي جاءوا بها ، ويظنون أنهم لوجاءتهم آيات أخر لآمنوا عندها جهلا منهم ، وماعلموا أن الإيمان بإذن الله تعالي أ هـ (١) .

القول الثامن : وهو للإمام الفخر الرازي واختاره كثير من المحققين : أن المحكم : ماكانت دلالته علي المراد راجحة ، وهو النص ، والظاهر . والمتشابه : ماكانت دلالته علي المراد غير راجحة وهو المجمل والمؤول والمشكل .

وبيان ذلك :

أن اللفظ الذي جعل موضوعا لمعني ، إما ألا يكون محتملا لغيره ، او يكون محتملا لغيره .

الأول . النص ، والثاني ، إما أن يكون احتماله لأحد المعاني راجحا

---

(١) الإتقان ٣/٩ ، ١٠ .

ولغيره مرجوحا ، وإما أن يكون احتماله لهما بالسوية ، واللفظ بالنسبة للمعني الراجح يسمي ظاهرا ، وبالنسبة للمعني المرجوح يسمي ، مؤولا، وبالنسبة للمعنيين المتساويين أو المعاني المتساوية يسمي مشتركا وبالنسبة لاحدهما علي التعيين ، يسمي مجملا ، وقد يسمي اللفظ مشكلا ، إذا كان معناه الراجح ، باطلا ، ومعناه المرجوح ، حقا .

إذا عرفت هذا فالمحكم ماكانت دلالته راجحة ، وهو النص والظاهر ، لاشتراكهما في حصول الترجيح ، أن النص راجح مانع من الغير ، والظاهر راجح غير مانع منه .

أما المتشابه فهو ما كانت دلالته غير راجحة ، وهو المجمل والمؤول والمشكل ، لاشتراكهما في أن دلالة كل منهما غير راجحة ، وأما المشترك فإن أريد منه كل معانيه : فهو من قبيل الظاهر وإن أريد بعضها علي التعيين فهو مجمل .

ثم إن صرف اللفظ عن المعني الراجح ، إلي المعني المرجوح ، لابد فيه من دليل منفصل .

وذلك الدليل المنفصل : إما أن يكون لفظيا ، وإما أن يكون عقليا والدليل اللفظي لايكون قطعيا لأنه موقوف علي نقل اللغات ، ونقل وجوه النحو والتصريف ، وموقوف علي عدم الإشتراك ، وعدم المجاز ، وعدم الإضمار ، وعدم التخصيص ، وعدم المعارض العقلي والنقلي ، وكل ذلك مظنون ، والوقوف علي المظنون مظنون .

وعلي ذلك ، فلا يمكن صرف اللفظ عن معناه الراجح ، بدليل لفظي في المسائل الأصولية الإعتقادية ، ولايجوز صرفه إلا بواسطة قيام الدليل القطعي العقلي علي أن المعني الراجح محال عقلا ، وإذا عرف المكلف ، أنه ليس مراد الله تعالي ، فعند ذلك لايحتاج إلي أن يعرف ذلك المرجوح ماهو ؟ لأن طريقه إلي تعيينه ، إنما يكون بترجيح مجاز علي مجاز ، وبترجيح تأويل علي تأويل . وذلك الترجيح لايكون إلا بالدلائل اللفظية وهي لاتفيد إلا الظن ، والتعويل عليها في المسائل القطعية لايفيد ، لذا كان مذهب السلف : عدم الخوض في تعيين التأويل في المتشابه ، بعد اعتقاد أن ظاهر اللفظ محال ، لقيام الأدلة العقلية القطعية علي ذلك » أ هـ (١) .

وأصوب هذه الأقوال ، قول الرازي ، وذلك لأنه جامع مانع فلم يُدخل في المحكم ماكان خفيا ، ولا في المتشابه ماكان جليا ، لأنه استوفي وجوه الظهور والخفاء استيفاء تاما ، في بيان تقسيمه الذي بناه علي راجح ومرجوح ، والذي أعلن لنا منه أن الراجح ماكان واضحا لا خفاء فيه ، وأن المرجوح ماكان خفيا لاجلاء معه (٢) .

وقريب منه رأي العلامة الطيبي حتي كاد أن يكون هو لو أتم وجوه الدلالة .

---

(١) انظر مناهل العرفان ٢ / ١٧١ .

(٢) المرجع السابق ٢ / ١٧٢ .

أقسام المتشابه في التنزيل

باستقصاء الآيات المتشابهة ندرك أن سبب التشابه هو خفاء مراد الشارع وغموضه .

وإذا فصلنا الأمر تفصيلا يتبين لنا أن مرجع التشابه إلي ثلاثة أقسام:

القسم الأول : المتشابه من جهه اللفظ فقط .

وذلك أن اللفظ ينقسم إلي مفرد ومركب .

١ - ففي المفرد : قد يكون التشابه فيه بسبب خفائه وغرابته واستعماله قليل : كقوله تعالي : (وفاكهة وأبا) فكلمة الأب : ماترعاه الدواب ، والذي يؤكد ذلك ماجاء بعد ذلك (مَتَاعا كم ولأنعامكم) [١] فالفاكهة للإنسان والأب للأنعام .

٢ - قد يكون التشابه بسبب مجيئه علي سبيل المشترك اللفظي .. فقوله تعالي (فَراغَ عَلِيهم ضَرباً بِأليَمِينِ) [٢] ففي كلمة « اليمين » خفاء في اللفظ لاشتراكها في الدلالة علي عدة معان .. فاليمين تستعمل بمعني مطلق القوة ، أو الجارحة المعروفة ، أو القسم ، أو الجهة ..

---

(١) سورة عبس الآيه ٣٢ .

(٢) سورة الصافات الآيه ٩٣ .

٣ – وقد يكون التشابه بسبب اختصار المركب نحو قوله تعالي : (وإن خِفْتُم ألاَّ تُقْسِطُواْ فِي اليتَامَي فَانْكِحُوا مَاطَاب لكُم من النساء مَثْني وَثَلاَثَ ورُباع ..) (١) فالخفاء حصل بسبب اختصاره : واصل التركيب : إذا تحرجتم من زواج اليتيمات مخافة الظلم فأعرضوا عن زواجهن وتزوجوا غيرهن .. فلما حصل الإيجاز حدث الخفاء والتشابه وقد قيل : إنهم كانوا يتحرجون من ولاية اليتامي ولايتحرجون من الزنا ، فقيل لهم : إن خفتم ألا تعدلوا في أمر اليتامي فخافوا الزنا فانكحوا ماحل لكم (٢) .

٤ – وقد يكون التشابه "الخفاء" في المركب بسبب بسطه والإطناب فيه نحو قوله جلت حكمته (ليس كمثله شئ) فإن حرف الكاف لو حذف لصارت العبارة (ليس مثله شئ) وأصلها (ليس مثل مثله شئ) فالخفاء القائم بسبب الإطناب في التركيب ، " قال الزجاج ، وابن جني : الكاف زائدة للتأكيد وقال الألوسي : في الجملة الكريمة : كناية مشتملة علي مبالغة وهي أن المماثلة منفية عمن يكون مثله وعلي صفته فكيف عن نفسه ، وهذا لايستلزم وجود المثل ، إذ الفرض كاف في المبالغه " (٣) .

٥ – وقد يقع التشابه في المركب بسبب الترتيب كقوله تعالي (الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلي عَبْدِهِ الكِتابَ وَلَمْ يَجعَلْ لَهُ عِوَجاً قيما) (٤) والتقدير ".. الذي أنزل علي عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا " .

---

(١) سوره النساء الآية ٣ .

(٢) انظر تفسير البيضاوي ٨٤/١ ط الحلبي الثانية .

(٣) انظر روح المعاني للالوسي ١٨/٢٥ بتصرف .

(٤) سوره الكهف الآيتان ١ ، ٢ .

قال أهل اللغة : العوج في المعاني كالعوج في الأعيان ، والمراد منه :

١ - نفي التناقض عن آياته كما قال تعالي : (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيرِ اللَّه لَوجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) [١] .

٢ - وأن كل ماذكره الله من التوحيد والنبوة والأحكام والتكاليف فهو حق وصدق ولاخلل في شئ منها .

وقوله (قيما) أي مستقيما .

قال الفخر الرازي : وهذا عندي مشكل لأنه لامعني لنفي الإعوجاج إلا حصول الاستقامة فتفسير القيم بالمستقيم يوجب التكرار وأنه باطل بل الحق أن المراد من كونه (قيما) أنه سبب لهداية الخلق ، وأنه يجري مجري من يكون قيما للأطفال ، فالأرواح البشرية كالأطفال ، والقرآن كالقيم الشفيق القائم بمصالحهم .

قال الواحدي : جميع أهل اللغة والتفسير قالوا هذا من التقديم والتأخير والتقدير : أنزل علي عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا .

ورد الفخر الرازي عليه قائلا : إن قوله (ولم يجعل له عوجا) يدل علي كونه كاملا في ذاته ، وقوله (قيما) يدل علي كونه مكملا لغيره . وكونه كاملا في ذاته متقدم بالطبع علي كونه مكملا لغيره فثبت بالبرهان

---

(١) سوره النساء الآية ٨٢ .

العقلي أن الترتيب الصحيح هو الذي ذكره الله تعالي وهو قوله (ولم يجعل له عوجا قيما) فظهر أن ماذكروه من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب إليه (١) .

وتعد أوائل السور من الحروف المقطعة مثل " الم ، المر ، حم ، ص ، ن " من المتشابه الذي حصل فيه خفاء من جهة اللفظ (٢) .

القسم الثاني : وهو ماكان التشابه فيه من جهة المعني :

ويتضمن هذا القسم ماورد في التنزيل وصفا لله تبارك وتعالي نحو قوله تعالـي (الرَّحْمَـنُ عَلي العَرشِ اِستَوي) (٣) ، (كُل شيئ هَالِكُ إلا وَجْهَهُ) (٤) ، (وَيبقَي وَجهُ ربك) (٥) ، (يد الله فوق أيدهم) (٦) (والسَمَواتُ مَطويَاتٌ بِيمِينِه) (٧) ، وأيضا من هذا القسم - المتشابه من جهة المعني - وماجاء في القرآن الكريم من أهوال القيامة أو نعيم الجنة وعذاب النار ، فإن تلك الصفات بمنأي عن تصورنا فكيف نتصور مالم نحسه .

القسم الثالث : هو ماكان التشابه فيه راجعا إلي اللفظ والمعني معا وهو خمسة أضرب :

أولها : ماكان التشابه فيه من جهة الكمية ، كالعموم والخصوص مثل

(١) انظر الفخر الرازي ٧٥/٢١ بتصرف .

(٢) مناهل العرفان ١٧٥/٢ .

(٣) سوره طه الآيه ٥ .

(٤) سوره القصص الآيه ٨٨ .

(٥) سوره الرحمن الآيه ٢٧ .

(٦) سوره الفتح الآيه ١٠ .

(٧) سوره الزمر الآيه ٦٧ وسوف نتعرض لها بشئ من التفصيل إن شاء الله .

قوله تعالي : (فَاقْتلُواْ المُشرِكِينَ حَيثُ وَجَدتُموهُم) [١] ، أي من الأرض ، وهذا عام ، والمشهور تخصيصه بتحريم القتال في الحرم بقوله (وَلاَتُقَاتِلُوهُمْ عِندَ المسَجِدِ الحرَامِ حَتيَّ يُقَاتِلُوكُم فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُم فَاْقتُلُوهُم) [٢] .

وثانيها : ماكان التشابه فيه من ناحية الكيفية ، كالوجوب والندب نحو قوله تعالي : (فَانكِحُوا مَاطابَ لَكمُ مِنَ النِسَاءِ) [٣] .

وثالثها : ماجاء التشابه فيه من جهة الزمان ، كالناسخ والمنسوخ ، مثل قوله تعالي : (يَاأيهُا الذَينَ أمَنواْ إتقوا اللّه حَق تُقَاتِهِ) [٤] إذ قيل إنها منسوخه بقوله تعالي : (فَأتقُو اللّه مَااستَطَعْتُم) [٥] .

ورابعها : ماوقع التشابه فيه من جهة المكان ، والأمور التي نزلت فيها، نحو قوله تعالي : (وليس البِرَ بأن تَأتوا البيوتَ مِن ظهُورِها ولكَنَّ البِر مَن إتقي وَأتواْ البيوتَ مِن أبوابِها) [٦] ، فإن من لايعرف عادات العرب في الجاهلية لايستطيع الوقوف علي المعني المراد ، أخرج البخاري [٧] عن البراء قال : كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ..) الآية .

---

(١) سورة التوبة الآيه ٥ .
(٢) سورة البقرة الآية ١٩١ .
(٣) سورة النساء الآية ٣ .
(٤) سورة آل عمران الآية ١٠٢ .
(٥) سورة التغابن الآيه ١٦ .
(٦) سورة البقرة الآية ١٨٩ .
(٧) في صحيحة كتاب التفسير ٩ / ٢٤٩ .

ففي الآيه نوعان من الخفاء ..

١ - خفاء بسبب اللفظ : حيث جاء مختصرا وتقديره : وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها إن كنتم محرمين بالحج أو العمرة .

٢ - خفاء بسبب المعني : وذلك أن العبارة - لوجاءت كما أسلفنا - ماتضح المراد منها إلا إذا وقف المرء علي سبب النزول وهو : عادة العرب التي كانوا عليها آنذاك .

وخامسها : ماتطرق إليه التشابه من جهة الشروط التي يصح بها الفعل أو يفسد كشروط الصلاة والنكاح [١] .

مذاهب العلماء في معرفة المتشابه

وكما وقع الاختلاف في معني كل من المحكم والمتشابه الخاصين وقع الإختلاف في امكان معرفة المتشابه ، ومنشأ هذا الاختلاف اختلافهم في هذه الآية الكريمه (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنه وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولوا الألباب) [٢] .

وذلك من حيث تردد الواو في قوله تعالي (والراسخون في العلم) هل

---

(١) المفردات للراغب ص ٢٥٤ .

(٢) سوره آل عمران الآية ٧ .

هي للإستئناف و (الراسخون في العلم) مبتدأ خبره (يقولون) وعليه يكون الوقف علي قوله (ومايعلم تأويله الله) ، أو هي معطوف و(يقولون) حال ، والوقف علي قوله (والراسخون في العلم) .

فذهب إلي الأول (الاستئناف) طائفة منهم أبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس وعائشة ومالك بن أنس والكسائي والفراء ومن المعتزله قوله أبي علي الجبائي . قال الفخر الرازي : وهو المختار عندنا (١).

واستدل أصحاب هذا الرأي بما رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس أنه كان يقرأ " ومايعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به " ، فإن هذا يدلنا علي أن الواو للإستئناف ، لأن هذه الرواية - وإن لم تثبت بها القراءة - فأقل درجاتها أن تكون خبرا بإسناد إلي ترجمان القرآن ، فيقدم كلامه في ذلك علي من هو دونه .

وبقراءه ابن مسعود " وإن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به " .

* وأخرج الحافظ ابن مردوية عن ابن العاصي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : " إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما تشابه فآمنوا به " (٢) .

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله هذه الآية (هو

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ٧ / ١٧٦ .

(٢) انظر تخريج الحديث في الجامع للحافظ السيوطي ٨٧٦/١ ، وتفسير ابن كثير ٨/٢ .

الذي أنزل عليك الكتاب - إلي قوله تعالي أولوا الألباب) قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " فإذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذرهم " (١) .

ومن الأدلة العقلية : هو أن ماقبل هذه الآية يدل علي أن طلب تأويل المتشابه مذموم ، حيث قال (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) ولو كان طلب تأويل المتشابه جائزا لما ذم الله تعالي ذلك .

فإن قيل : إن مناط الذم هو بعض المتشابه ، كقيام الساعة - كما في قوله (يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل إنما علمها عند ربي) (٢) .

أجيب : إنه تعالي لما قسم الكتاب إلي قسمين محكم ومتشابه ، ودل العقل علي صحة هذه القسمة من حيث إنه حمل اللفظ علي معناه الراجح هو المحكم ، وحمله علي معناه الذي ليس براجح هو المتشابه ، ثم أنه تعالي ذم طريقة من طلب تأويل المتشابه كان تخصيص ذلك ببعض المتشابهات دون البعض تركا للظاهر ، وأنه لايجوز .

ومن الأدلة : قوله تعالي (كل من عند ربنا) يعني أنهم آمنوا بما عرفوه علي التفصيل ، وبما لم يعرفوا تفصيله وتأويله ، فلو كانوا عالمين بالتفصيل في الكل لم يبق لهذا الكلام فائدة (٣) .

---

(١) أخرجة البخاري ومسلم وغيرهما .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٧ .

(٣) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ١٧٨/٧ بتصرف .

المذهب الثاني : وهو مروي عن الإمام ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين [١] الذين عطفوا الراسخين علي ماقبل وذهبوا إلي أن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه ، وقد استدلوا لذلك بجمله من الأدلة مابين منقول ومعقول ويتمثل أبرزها فيمايلي :

أولا : ثبت في الصحيح - أن النبي ﷺ دعا لابن عباس - رضي الله عنهما بقوله " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " [٢] ولو كان التأويل مما لايعلمه إلا الله تعالي لما كان للدعاء معني .

ثانيا : أخرج عبد بن حميد عن مجاهد في قوله (والراسخون في العلم ، قال : يعلمون تأويله ويقولون آمنا به [٣] .

ثالثا : وأخرج ابن أبي حاتم ، عن الضحاك قال : الراسخون في العلم يعلمون تأويله ، ولو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه من منسوخة ، ولاحلاله من حرامه ، ولامحكمه من متشابهه [٤] .

رابعا : احتج أصحاب هذا المذهب بأن الله سبحانه مدحهم بالرسوخ في العلم ، فكيف يمدحهم وهم جهال ! وقد قال ابن عباس : أنا ممن يعلم تأويله ، وقرأ مجاهد هذه الآية وقال : أنا ممن يعلم تأويله حكاه عنه إمام الحرمين أبو المعالي [٥] .

---

(١) انظر عزو هذا المذهب لهؤلاء في تفسير الفخر الرازي ٧ / ١٧٦ وعزوه الي الشافعيه في روح المعاني للالوسي ٨٤/٣ والي الربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير والقاسم بن محمد وغيرهم في تفسير القرطبي ١٣/٤ .

(٢) روح المعاني ٨٤/٣ .

(٣) انظر الإتقان ١/٣ .

(٤) المرجع السابق نفسي الجزء والصفحة .

(٥) انظر تفسير القرطبي ١٣/٤ .

تلك أدلة نقلية ونتبعها بدليل عقلي تعاضد به أصحاب هذا المذهب وتتمثل فيمايلي - مشفوعه بما عقب به عليها من إجابة ساقها أصحاب المذهب الأول - فنقول : -

قالوا إنه يبعد أن يخاطب الله تعالي عباده بما لاسبيل لأحد من الخلق إلي معرفته ، قاله الإمام النووي في شرحه علي صحيح مسلم ونقله السيوطي في الإتقان (١) ونقل الزركشي (٢) عن الراغب قوله في مقدمة تفسيره : " وذهب عامة المتكلمين إلي أن كل القرآن يجب أن يكون معلوما ، وإلا لأدي إلي بطلان فائدة الإنتفاع به " .

وقد أجاب الألوسي (٣) عن ذلك بقوله : " لابُعد في أن يخاطب الله تعالي بما لاسبيل لأحد من الخلق إلي معرفته ويكون ذلك من باب الإبتلاء كما ابتلي سبحانه عباده بتكاليف كثيرة وعبادات وفيره لم يعرف أحد حقيقة السر فيها ، والسر في هذا الابتلاء قص جناح العقل ، وكسر سورة الفكر وإذهاب عجب طاووس النفس ليتوجه القلب بشراشره تجاه كعبة العبودية ويخضع تحت سرادقات الربوبية ويعترف بالقصور ويقر بالعجز عن الوصول إلي مافي هاتيك القصور وفي ذلك غاية التربية ونهاية المصلحة " .

المذهب الثالث : وهو يجمع بين المذهبين السابقين بلاتضاد ولاتناقض

---

(١) انظر الإتقان ٣/٥ .

(٢) انظر البرهان ٣/٧٤ .

(٣) انظر روح المعاني ٣/٨٦ - ٨٧ .

، وعليه تحمل جميع الروايات المأثورة عن السلف في التفويض في علم المتشابه أو الوقوف عليه ، إذ أن مبني هذا المذهب : جواز جعل الواو للإستئناف والعطف وذلك بناء علي تقسيم المتشابه إلي ثلاثة أنواع :

الأول : مايستطيع البشر الوصول إلي معرفته عن طريق البحث والتقصي والتعمق ، كالمتشابهات الناتجة عن غرابة الألفاظ ، والإيجاز او الإطناب في التراكيب .. الخ .

الثاني : مايصل إلي معرفته العلمية الراسخون في العلم ، وذلك مثل الأسرار والدقائق التي يستخرجها العلماء من أسرار إعجاز القرآن الكريم .

الثالث : مالايستطيع الخلق جميعا الوصول إليه - مهما أوتوا من علم - لاستثناء المولي - عز وجل - بعلمه ، مثل : وقت قيام القيامة ، وخروج الدابة التي تكلم الناس ، وطلوع الشمس من المغرب ، ومثل المغيبات الخمس التي لايعلمها إلا الله ، قال تعالي : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام وماتدري نفس ماذا تكسب غداً وماتدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) (١) .

قال الراغب : " المتشابهات علي ثلاثة أضرب : ضرب لاسبيل إلي الوقوف عليه ، كوقت الساعة وخروج الداية ونحو ذلك . وضرب للإنسان سبيل إلي معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام المعلقة . وضرب متردد بين

---

(١) سورة لقمان الآية ٣٤ .

الأمرين ، يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم ويخفي علي من دونهم ، وهو الضرب المشار إليه بقوله صلي الله عليه وسلم لابن عباس : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " .

وإذا عرفت هذه الجهة عرفت أن الوقف علي قوله : (ومايعلم تأويله إلا الله) ووصله بقوله : (والراسخون في العلم) جائز ، وأن لكل واحد منهما وجها حسبما دل عليه التفصيل المتقدم " (١) أ . هـ .

---

(١) انظر المفردات : ٢٥٥ .

متشابه الصفات

إن الآيات المشكلة الواردة في صفات الله تعالي ، كقوله (الرحمن علي العرش استوي) هي أهم مايتعلق بهذا الضرب من المتشابه الذي لاسبيل لأحد من البشر إلي الوقوف عليه ، لذا أفرده العلماء بالتصنيف ، لكثرة الخوض فيه والتخبط في مسالكه الشائكه – من الفرق الضاله – علي غير هدي .

وقد أفرده ابن اللبان بكتاب سماه " رد المتشابهات إلي الآيات المحكمات " (١) وتناوله الامام الزركشي في نوع مستقل عنون له بـ "النوع السابع والثلاثون : في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات " (٢).

وقد تعددت الآراء والاتجاهات في متشابه الصفات علي ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول :

وهو مذهب أهل السنة من السلف الصالح ، ويسمي مذهب (المفوضة) وهو الإيمان بهذه المتشابهات وتفويض معرفتها إلي الله تعالي والإمساك عن الخوض فيها بالتأويل ، ويستدلون علي مذهبهم هذا بدليلين عقلي ونقلي .

---

(١) مناهل العرفان ١٨٢/٢ . وابن اللبان هو محمد بن احمد الأشعري المصري المتوفي سنه ٧٤٩ هـ ، الأعلام ٨٥٣/٣ .

(٢) انظر البرهان في علوم القران ٧٨/٢ .

اما الاستدلال العقلي وهو :

أن تعيين المراد من هذه المتشابهات اتما يجري علي قوانين اللغة واستعمالات العرب ، وهي لاتفيد إلا الظن ، مع أن صفات الله من العقائد لايكفي فيها الظن ، بل لابد فيها من اليقين ولاسبيل إليه ، فلنتوقف ولنكل التعيين إلي العليم الخبير [١] .

والدليل الثاني نقلي . وهو يتضمن العديد من النصوص والآثار منها:

أ - ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : " تلا رسول الله صلي الله عليه وسلم - هذه الآية " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات " إلي قوله " أولو الألباب " قالت قال رسول الله - صلي الله عليه وسلم . " فإذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه ، فأولئك الذين سمي الله فاحذورهم " [٢] .

ب - أخرج ابن مردويه عن السيدة أم سلمة أم المؤمنين رض الله عنها في قوله : (ثم استوي علي العرش) [٣] قالت : " الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإقرار به إيمان والجحود به كفر [٤] .

---

(١) انظر مناهل العرفان للزرقاني ١٨٣/٢ . واري أنه اقتبس هذا الإستدلال مما ذكره الإمام الفخر الرازي في تفسيره - بإطناب واستيعاب .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ٩ / ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٣) صدر الآية الكريمة : (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في سته أيام ثم استوي علي العرش) سوره الأعراف الآيه ٥٤ .

(٤) انظر الاتقان ١٣/٣ .

جـ - واخرج الدارمي في مسنده عن سليمان بن يسار : أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل إليه عمر - وقد أعد له عراجين النخل - فقال : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله صبيغ ، فقال : وأنا عبد الله عمر . فاخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه حتي دمي راسه فقال : ياأمير المؤمنين حسبك ، قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي (١) .

د - أخرج ابن مردويه بسنده عن رسول الله ﷺ قال : " إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا ، فما عرفتم منه فإعملوا ، وماتشابه فآمنوا به " (٢) .

المذهب الثاني :

وهو مذهب الخلف من أهل السنة وسمي (مذهب المؤولة) وينسب للإمام أبي الحسن الأشعري وأصحابه كابن برهان وقد نقل إن إمام الحرمين كان يذهب هذا المذهب ثم رجع عنه فقال في الرسالة النظامية : " الذي نرتضيه دينا ، وندين به عقدا ، اتباع سلف الأمة ، فإنهم درجوا علي ترك التعرض لمعانيها " أ . هـ .

ودليل أصحاب هذا المذهب : أن القرآن أمر بالتدبر والفهم ، ولايتم

---

(١) انظر الدر المنثور ١٢/٢ .

(٢) انظر الاتقان ١٣/٣ .

ذلك إلا بالوصول إلي معاني جميع الألفاظ ولايجوز ترك بعض الألفاظ مهملا بلافهم له ، مادام ذلك ممكنا في الإطار الشرعي قال تعالي (أفلا يتدبرون القرآن ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (١).

المذهب الثالث :

فهو مذهب المتوسطين وهم الذين اخذوا بالمذهب الأول في أمور وبالمذهب الثاني في أمور أخري .

وقد نقل السيوطي هذا المذهب فقال : " وتوسط ابن دقيق العيد فقال إذا كان التأويل قريبا من لسان العرب لم ينكر ، أو بعيدا توقفنا عنه ، وآمنا بمعناه علي الوجه الذي أريد به مع التنزيه . وماكان معناه من هذه الألفاظ ظاهرا مفهوما من تخاطب العرب قلنا به من غير توقف كما في قوله تعالي : (ياحسرتا علي مافرطت في جنب الله) (٢) فنحمله علي حق الله ومايجب له) أ هـ(٣) .

تمثيل وتوضيح :

فمثلا قوله تعالي : (الرحمن علي العرش استوي) فالجميع من سلف وخلف متفقون علي أن ظاهر الاستواء علي العرش ، وهو الجلوس عليه

---

(١) سورة النساء الآية ٨٢ .

(٢) سورة الزمر الآية ٥١ .

(٣) الاتقان ٣/١٤ .

مع التمكن والتحيز مستحيل لأن الأدلة القاطعة تنزه الله علي أن يشبه خلقه أو يحتاج إلي شئ منه ، سواء أكان مكانا يحل فيه أم غيره ، وكذلك اتفق السلف والخلف علي أن هذا الظاهر غير مراد الله قطعا ، لأن الله تعالي نفي عن نفسه المماثلة لخلقه ، وأثبت لنفسه الغني عنهم فقال : (ليس كمثله شئ) فلو أراد هذا الظاهر لكان متناقضا .

ثم اختلف السلف والخلف بعد ماتقدم ، فالسلفيون ينزهون المولي تباركت آلاؤه - عن ظواهر مثل هذه الآيات : لأنها توهم مشابهة الله للمخلوقين لذا لايخوضون في تأويلها بل يفوضون تعيين معني الاستواء إلي الله تعالي ، وهو أعلم بمانسبه إلي نفسه وأعلم بما يليق به سبحانه .

ويري الخلف أن يؤولوا ، لأنه يبعد كل البعد أن يخاطب الله عباده بما لايفهمون ، ومادام ميدان اللغة متسعا للتأويل وجب التأويل ويثبتون لله صفة سمعية لانعلم علي التعيين أو نعلمها علي التعيين : فالاشاعرة يؤولون من غير تعيين إن لله صفة سمعية لانعلم المراد منها فيقولون : إن المراد من الآية اثبات أنه تعالي متصف بصفة سمعية لانعلمها علي التعيين ، تسمي صفة الاستواء . وطائفة المتأخرين يعينون فيقولون : إن المراد بالاستواء هنا هو الاستيلاء والقهر ، من غير معاناة ولا تكلف ، لأن اللغة تتسع لهذا المعني ، فيكون معني النص الكريم : الرحمن استولي

علي عرش العالم بقدرته ودبره بمشئيته ، وابن دقيق العيد يقول بهذا التأويل إن رآه قريبا ، ويتوقف إن رآه بعيدا .

ولاريب أن منهج السلف (المفوضة) هو المنهج الأمثل ، وذلك لاحجام عظام الأئمة من سلفنا الصالح عن التأويل وتنكيلهم بمن تتبع المتشابه بالسؤال عنه ، لما علمه أولئك السلف من زيغ قلوب هؤلاء ومن تحذير الكتاب والسنه منهم ، لما أخرجه الشيخان وغيرهما عن السيدة عائشة رضي الله عنها - أنها قالت : تلا رسول الله صلي الله عليه وسلم هذه الآية (هو الذي أنزل عليك الكتاب ..) إلي قوله (أولوا الألباب) - قالت : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ، " فإذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم .

الحكمة في ورود المتشابه في القرآن الكريم :

اقتضت حكمة الحكم العليم أن ينزل هذا القرآن العظيم مشتملا علي محكم ومتشابه ، ليتحقق بذلك سمو كماله من جميع الوجوه ومن شتي الجوانب بما لذلك من حكم وأسرار ، فهناك حكم وفوائدتتعلق بإيراد ماستأثر الله تعالي بعلمه ، وأخري بإيراد مايتسني للعلماء إدراكه بالبحث والنظر ، ومايختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم .

فأما مايتعلق بإيراد ما استأثر الله تعالي بعلمه من وجوه الحكم والفوائد فقد ذكر العلماء ذلك .

أولا : ابتلاء الإنسان واختباره بتعبده بما لايعلم معناه من كلام الله تعالي ، يقول الإمام الألوسي - رضوان الله عليه « والسر في هذا الابتلاء قص جناح العقل ، وكسر سورة الفكر ، وإذهاب عجب طاووس النفس ليتوجه القلب بشراشره تجاه كعبة العبودية ، ويخضع تحت سرادقات الربوبية ، ويعترف بالقصور ويقر بالعجز عن الوصول إلي مافي هاتيك القصور ، وفي ذلك غاية التربية ونهاية المصلحة (١) .

ثانيا : إقامة الحجة علي المتحدي بالقرآن من أولئك العرب الذين نزل بلسانهم ولغتهم ومع ذلك عجزوا عن الوقوف علي أسرار المتشابهات واستقاء معانيها من مبانيها رغم بلاغتهم وحضور بديهتهم ، فذلك دال علي أنه معجز (٢) .

ثالثا : وهو من أقوي وجوه فوائد ايراد المتشابه -بل أقواها عند الإمام الرازي فقال : إن القرآن كتاب مشتمل علي دعوة الخواص والعوام بالكلية وطبائع العوام تنبو في أكثر الأمر عن ادراك الحقائق . فمن سمع من العوام في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا بمتحيز ولامشار إليه ، ظن أن هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل ، فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة علي بعض مايناسب مايتوهمونه ويتخيلونه ، ويكون ذلك مخلوطا بما يدل علي الحق الصريح .

---

(١) انظر روح المعاني ٣/٨٦ - ٨٧ .

(٢) البرهان للزركشي ٢/٧٦ بتصرف .

فـالقـسم الاول : وهو الذي يخاطبون به في أول الأمر من باب المتشابهات .

والقسم الثاني : وهو الذي يكشف لهم في آخر الأمر هو المحمات [١] . أ ، هـ .

رابعا : أن في إيراد المتشابه المستأثر بعلمه : إطماعا لذوي المذاهب المختلفة أن يجد كل منهم فيه مايؤيد مذهبه ووجهته ، فالجبري يتمسك بآيات الجبر ، كقوله تعالي (وجعلنا علي قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) [٢] ، والقدري يقول بل هذا مذهب الكفار ، بدليل أنه تعالي حكي ذلك عن الكفار في معرض الذم لهم في قوله (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر) [٣] وأيضا مثبت الرؤية يتمسك بقوله تعالي : (وجوه يومئذ ناضره إلي ربهاناظرة) [٤] والنافي يتمسك بقوله (لاتدركه الأبصار) [٥] ومثبت الجهة يتمسك بقوله : (يخافون ربم من فوقهم) [٦] وبقوله (الرحمن علي العرش استوي) [٧] والنافي يتمسك بقوله (ليس كمثله شئ) [٨] .

---

(١) انظر الفخر الرازي ١٧٢/٧ .

(٢) سوره الأنعام الآية ٢٥ .

(٣) سوره فصلت الآية ٥ .

(٤) سوره القيامه الآيه ٢٣ .

(٥) سوره الأنعام الآية ١٠٣ .

(٦) سوره النحل الآية ٥٠ .

(٧) سوره طه الآية ٥ .

(٨) سوره الشوري الآية ١١ .

ولولا وقوع التشابه المذكور ، بأن كان التنزيل محكما بالكلية : لما كان مطابقا إلا لمذهب واحد ، ولكان مبطلا لجميع المذاهب المخالفة (١) من ثم كان التشابه في التنزيل مدعاه لأن يجتهد كل صاحب مذهب في التأمل فيه ، فإذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات ، وبهذا يتخلص المبطل عن باطله ويصل إلي الحق .

أما بالنسبة لمايتعلق بالبحث والنظر ، ومايختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم ، فما ذكره العلماء من فوائد مايلي : .

أولا : أن القرآن إذا كان مشتملا علي المحكم والمتشابه افتقر الناظر فيه إلي الاستعانة بدليل العقل ، وحينئذ يتخلص من ظلمة التقليد ، ويصل إلي ضياء الاستدلال والبينة ، أما لو كان كله محكما لم يفتقر إلي التمسك بالدلائل العقلية فحينئذ كان يبقي في الجهل والتقليد (٢) .

ثانيا : لما كان القرآن مشتملا علي المحكم والمتشابه ، اضطر الناظر فيه إلي تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو وعلم أصول الفقه ، ولم يكن الأمر كذلك ماكان يحتاج الإنسان إلي تحصيل هذه العلوم الكثيرة (٣) .

ثالثا : اظهار فضل العالم علي الجاهل ، ويستدعيه علمه إلي المزيد في الطلب في تحصيله ، والأنفس الشريفة ترتقي لطلب العلم لتصل إلي

---

(١) ذكر الإمام الرازي اصل هذا الوجه في تفسيره ١٧١/٧ ، ١٧٢ وماذكرناه هنا بتصرف .

(٢) انظر تفسير الفخر الرازي ١٧٢/٧ .

(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

أوج الفضل . ومن ثم يظهر التفاضل والتفاوت بين العلماء في معالي الدرجات ، ولو كان القرآن الكريم محكما لايحتاج إلي نظر وتأويل ، لاستوت منازل الخلق ، ولم يظهر فضل العالم علي غيره (١) .

رابعا : أنه متي كانت المتشابهات موجودة ، كان الوصول إلي الحق أصعب وأشق وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب ، قال الله تعالي : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (٢) .

خامسا : في وجود المتشابهات : إظهار المخلوق علي حقيقته وأنه عاجز عن الوصول إلي مايريد ، وهو محدود القدرة والعلم وأنه مهما سما ونبغ فإنه لايصل إلي حقيقة العلم أو غايته (وما أو تيتم من العلم إلا قليلا) (٣) وأنه لايملك القدرة الخارقة والعلم المحيط إلا ربُّ كل شئ ومليكه (إنما الهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شئ علما) (٤) (ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء) (٥) .

تلك أبرز الفوائد والحكم في ورود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.

* * * *

---

(١) راجع البرهان ٢/٧٥ ، والإتقان ٣/٣٠ - ٣١ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٢ وانظر الفائدة في تفسير الفخر ٧/١٧٢ .

(٣) سورة الإسراء الآيه ٨٥ .

(٤) سورة طه الآية ٩٨ .

(٥) سورة البقره الآيه ٥٥ ، وانظر الفائده في أنوار البيان في علوم القرآن للدكتور / ذكي محمد ابو سريع .

المبحث الثالث

فى

« فواتح السور »

لقد استقصي العلماء سور التنزيل البالغة مائة وأربع عشرة سورة ورصدوا فواتحها ، فوجدوها منحصرة في عشرة أنواع من الكلام لايخرج عنها مفتتح من السور .

فكان تناول الفواتح وماحوته من أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز من خلال تصنيفها إلي تلك الأنواع :

النوع الأول : الاستفتاح بالثناء :

وينتظم هذا النوع تلك الفواتح التي تصرح بالثناء علي الله عز وجل ، إما بطريق الإيجاب وإما بطريق السلب فإن الثناء قسمان :

أحدهما : اثبات لصفات المدح .

وثانيهما : نفي وتنزيه من صفات النقص .

وقد جاء الثناء بإثبات صفات المدح نحو " الحمد لله " في مفتتح خمس سور هي :

١ – سورة الفاتحة : (الحمد لله رب العالمين) .

٢ – سورة الأنعام : (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) .

٣ – سورة الكهف : (الحمد لله الذي أنزل علي عبده الكتاب) .

٤ – سورة سبأ : (الحمد لله الذي له مافي السموات الأرض) .

٥ – سورة فاطر : (الحمد لله فاطر السموات والأرض) .

قال الإمام محمود شلتوت : " ومما تجدر ملاحظته أن هذه السور الخمس قد دارت حول بيان ربوبية الله للعالم من ناحيتيها : الخلقية والتشريعية ، وأن سورة الفاتحة تختص من بينها بأنها أجملت ذكر هذه الربوبية من الجانبين ، وأن السور الأخري جاءت كتفصيل لهذا الإجمال .

وافتتحت كل سورة منها بعد الحمد بما يشعر بنوع التربية التي فصلتها (١) .

ومن عجيب الإعجاز العددي في القرآن الكريم أننا إذا عددنا حروف كلمة « الحمد » نجدها خمسة أحرف .

وورد الثناء بإثبات صفات المدح بلفظ « تبارك » في سورتين :

١ – سورة الفرقان : (تبارك الذي نزل الفرقان علي عبده ليكون للعالمين نذيرا) .

٢ – سورة الملك : (تبارك الذي بيده الملك وهو علي كل شئ قدير) .

كما ورد الثناء علي الله تعالي بالتنزيه عن صفات النقص في مفتتح

---

(١) في تفسير القرآن الكريم للإمام محمود شلتوت ص ٢٣ .

سبع سور وهي :

١ - سورة الإسراء : (سبحان الذي اسري بعبده) .

٢ - سورة الحديد : (سبح لله مافي السموات والأرض) .

٣ - سورة الحشر : (سبح له مافي السموات ومافي الأرض) .

٤ - سورة الصف : (سبح لله مافي السموات ومافي الأرض) .

٥ - سورة الجمعه : (يسبح لله مافي السموات ومافي الأرض) .

٦ - سورة التغابن : (يسبح لله مافي السموات ومافي الأرض) .

٧ - سورة الأعلي : (سبح اسم رلك الأعلي) .

فمن عجيب الإعجاز العددي في القرآن الكريم أن تفتتح منه أربع عشرة سورة بالثناء علي الله تعالي : نصفها لثبوت صفات الكمال ، ونصفها لسلب النقائص !! .

أيضا إذا عددنا حروف كلمة التسبيح نجدها سبعة أحرف .

ومن الأسرار التي تراءت للعلامة : محمود بن حمزة الكرماني صاحب كتاب : « الغرائب والعجائب » في تفسير القرآن الكريم مانقله عنه الإمام الزركشي [١] من قوله :

---

(١) في البرهان في علوم القرآن ١/١٦٥ .

(سبح لله) هذه كلمة استأثر الله بها ، فبدأ بالمصدر منها في بني اسرائيل لأنه الأصل ، ثم الماضي (سبح لله) في الحديد والحشر والصف ، لأنه أسبق الزمانين ، ثم المستقبل في الجمعة والتغابن ، ثم بالأمر في سورة الأعلي استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهي أربع : المصدر ، والماضي ، والمستقبل ، والأمر المخاطب فهذه أعجوبة وبرهان أ . هـ .

وأضاف الفخر الرازي قائلا : « إن في ذلك إشارة إلي أن كون هذه الأشياء مسبحة غير مختص بوقت دون وقت ، بل هي كانت مسبحه أبدا في الماضي ، وتكون مسبحة أبدا في المستقبل [١] .

فهذه الألفاظ كلها تدل علي الديمومة والإستمرار لكل من في السموات والأرض علي تسبيح الله تعالي .

النوع الثاني : الفواتح المتشابهة

أعني بالفواتح المتشابة فواتح التهجي او الحروف المقطعة التي لاتكّون كلمة لها مدلولها . وقد وردت في القرآن الكريم في تسع وعشرين سورة وجملتها من غير تكرار أربعة عشر حرفا .

قال الزمخشري : " إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في الفواتح وجدتها نصف أسامي في حروف المعجم [٢] : أربعة عشر وهي : الألف ،

(١) مفاتيح الغيب ٢٩ / ٢٠٦ .

(٢) مع التجاوز عن الحرف التاسع والعشرين .

واللام ، الميم ، والصاد ، والراء ، والكاف ، والهاء ، والياء ، والعين ، والطاء ، والسين ، والحاء ، والقاف ، والنون ، في تسع وعشرين سورة عدد حروف المعجم " (١) .

وقال الزوكشي : " اعلم أن الأسماء المتهجاة في أول السور ثمانية وسبعون حرفا ، فالكاف والنون كل واحد في مكان واحد ، والعين والياء والهاء والقاف كل واحد في مكانين ، والصاد في ثلاثة ، والطاء في أربعة ، والسين في خمسة ، والراء في ستة ، والحاء في سبعة ، والألف واللام في ثلاثة عشر ، والميم في سبعة عشر (٢) .

---

(١) الكشاف ١/١٠٠ .

(٢) البرهان في علوم القران ١/١٦٧ .

وقد جاءت السور التي افتتحت بحروف التهجي علي النحو التالي :

الفواتح المتشابهة	السـور القـرآنية
الم	سورة البقرة - آل عمران - العنكبوت - الروم - لقمان - السجدة .
المص	الأعراف .
الر	يونس - هود - يوسف - ابراهيم - الحجر .
المر	الرعد .
كهيعص	مريم .
طه	طه .
طسم	الشعراء - القصص .
طس	النمل .
يس	يس .
ص	ص .
حم	غافر - فصلت - الزخرف - الدخان - الجاثية - الأحقاف .
حم عسق	الشوري .
ق	ق .
ن	القلم .

ضبطها :

لها ضوابط جمعتها أقوال نحو :

" نص حكيم قاطع له سر [١] .

وجمعها السهيلي في قوله :

" الم يسطع نور حق كره [٢] " .

وقد استثقل الزركشي قول السهيلي وفضّل عليه :

" لم يكرها نص حق سطع " [٣] .

و" طرق سمعك النصيحة " ، " صن سرا يقطعك حمله " ، و " علي صراط حق يمسكه " ، و " من حرص علي بطّه كاسر " ، و " سر حصين قطع كلامه " [٤] .

وذهب بعض علماء الشيعة علي حمله علي :

" صراط علّي حق نسكه " [٥] .

في حين يري بعض علماء أهل السنّة علي :

" صح طريقك مع السنّة " [٦] .

---

(١) تفسير القرآن لابن كثير ٦٦/١ .

(٢) الروض الأنف للسهيلي ٣٧/٢ .

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٦٧/١ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) روح المعاني للألوسي ١٠٤/١ .

(٦) المرجع السابق .

ونلاحظ من الضوابط السابقة أن كل صاحب مذهب يحاول أن يضبطها علي مذهبه ، ويحملها عليه ، يتضح ذلك جليا في ضابط بعض علماء الشيعة ، وفي ضابط بعض علماء أهل السنّة .

وقد اختلف العلماء في هذه الفواتح : ألها معني يدرك ، أم أنها مما استأثر الله تعالي بعلمه ؟ علي قولين :

القول الأول :

أنها من المتشابه الذي لايعلمه إلا الله ، والذي استأثر به رب العالمين ، ولا سبيل للناس إلي إدراك ماقصد منها .

ويروي في ذلك عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالي عنه أنه قال :

" لكل كتاب سر ، وسر القرآن أوائل السور (١) .

وعن علّي رضي الله عنه :

" أن لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي (٢) " .

وعن عامر الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين :

هي سر الله في القرآن ، ولله في كل كتاب من كتبه سر (٣) " .

كما روي عن الشعبي أنه سئل عن هذه الحروف فقال :

" سر الله فلا تطلبوه (٤) " .

---

(١) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٣/٢ ، وانظر ايضا روح المعاني للألوسي ١٠٠/١ .

(٢) انظر مفاتيح الغيب ٣/٢ .

(٣) الجامع لأحكام القران للقرطبي ١٥٤/١ .

(٤) مفاتيح الغيب ٣/٢ .

وذكر أبو الليث السمرقندي عن عمر وعثمان وابن سعود أنهم قالوا :

الحروف المقطعة السر الذي لايفسر (١) .

وقال أبو حاتم :

لم نجد الحروف المقطعة في القرآن الا في أوائل السور ، ولا تدري ما أراد الله عز وجل بها (٢) .

وقد اورد القرطبي عن الربيع بن خثيم (٣) قال :

" إن الله تعالي أنزل هذا القرآن فاستأثر منه بعلم ماشاء ، وأطلعكم علي ماشاء ، فأما ما استأثر به لنفسه ، فلستم بنائليه فلا تسألوا عنه ، وأما الذي أطلعكم عليه ، فهو الذي تسألون عنه وتخبرون به ومابكل القرآن تعلمون ، ولا بكل ماتعلمون تعملون (٤) " .

ونهج السيوطي هذا المنهج فقال :

" والمختار فيها أنها من الأسرار التي لايعلمها الا الله تعالي (٥) " . وذهب اليه أبو حيان (٦) .

---

(١) الجامع لأحكام القران ١/١٥٤ ، وانظر ايضا فتح القدير للشوكاني ١/٢٩ .

(٢) الجامع لأحكام القران ١/١٥٤ .

(٣) هو الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبد الله أبو يزيد الكوفي . وهو تابعي ، روي عن النبي صلي الله عليه وسلم مرسلا ، وعن ابن مسعود وغيره . قال عنه الشعبي : كان من معادن الصدق ، مات بعد قتل الحسين سنه ٦٣ هـ انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٣/٢٤٢ .

(٤) الجامع لاحكام القران ١/١٥٤ .

(٥) الاتقان ٣/٢١ .

(٦) في البحر المحيط ١/٣٥ .

قال الفخر الرازي :

" واعلم أن المتكلمين أنكروا هذا القول . وقالوا : لايجوز أن يرد في كتاب الله تعالي مالا يكون مفهوما للخلق (١) .

وقد احتجوا عليه بآيات كثيرة نحو قوله تعالي :

(أَفَلاَ يَتَدَبَّرُون القرآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيه اختِلافاً كِثيراً) (٢) ، وأنه : (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍ مُبِينٍ) (٣) ، وأنه جاء : (تِبْيَاناً لِكُلِ شَيْءٍ (٤)) . ، ونحو ذلك من الاستدلال بالآيات والأخبار والمعقول وكل هذه الصفات لاتحصل في غير معلوم (٥) .

وبهذا ذهبوا إلي :

القول الثاني :

وهو أن هذه الفواتح مما يدرك بالعقول وتصل اليه الأفهام ، وأنه لاحرج من البحث فيها .

ولذا فقد خاض العلماء في بيان معناها ، وتعددت أقوالهم ، لأنه لم يثبت فيها عن الرسول صلي الله عليه وسلم شئ ، ولوثبت عنه شئ فيها ، لما كان لغيره مجال لرأي أو اجتهاد .

---

(١) مفاتيح الغيب ٣/٢ .

(٢) سورة النساء ٨٢ .

(٣) سورة الشعراء : ١٩٥ .

(٤) سورة النحل : ٨٩ .

(٥) مفاتيح الغيب ٣/٢ – ٥ .

قال الشوكاني :

" لانعلم أن رسول الله صلي الله عليه وسلم تكلم في شئ من معانيها ، بل غاية ما ثبت عنه هو مجرد عد حروفها (١) .

والدليل علي قوله هذا ماورد عن ابن مسعود قال :

" قال الرسول صلي الله عليه وسلم : من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لاأقول الم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف (٢) .

وماروي في بيان معناها عن بعض الصحابة فهو من اجتهاداتهم واستنباطاتهم ، حيث وجدناه مختلفا متغايرا ، ولو كان ماقالوه مأخوذا عن رسول الله صلي الله عليه وسلم لاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه .

وهذا أيضا هو الذي جعل التابعين ومن بعدهم يختلفون في معناها وتتعدد أقوالهم .

الأقوال في معني الحروف المقطعة :

وردت عده أقوال في معني الحروف المقطعة ، فقيل إنها أسماء لله تعالي ، وقيل إنها رموز لصفاته سبحانه ، وقيل إنها أسماء للسور وقيل إنها أقسام ، وقيل إنها بيان لآجال أقوام ، وقيل إنها للانتباه والاستماع ،

---

(١) انظر فتح القدير ١/ ٣١ - ٣٢ .

(٢) اخرجه الترمذي في سننه ، كتاب فضائل القرآن ، باب ماجاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر ٥ /١٧٥ .

وقال ابوعيسي : هذا حديث حسن صحيح ، غريب من هذا الوجه .

وقيل إنها دلالة علي انقطاع كلام واستئناف غيره ، وقيل إنها للتحدي .

ونسعرض فيما يلي كل قول من تلك الأقوال ، مع بيان مدي صحته وقبوله أو رفضه .

١ – أنها أسماء لله تعالي :

وذلك بأن كل حرف مأخوذ من اسم من أسمائه تعالي ، فقد أخرج عثمان بن سعيد الدارمي ، وابن ماجه ، وابن جرير عن فاطمة بنت علّي قالت : كان علّي كّرم الله تعالي وجهه يقول : ياكهيعص اغفر لي [١] .

وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس في قوله : (كهيعص) قال :

" يامن يجير ولا يجار عليه [٢] " .

وقال الشعبي :

" فواتح السور من أسماء الله تعالي [٣] .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق السدي أنه بلغه عن ابن عباس :

" قال : (آلَمَ) اسم من أسماء الله الأعظم [٤] .

---

(١) انظر الاتقان ٢/٢٤ ، وروح المعاني للألوسي ١٦/٥٧ .

(٢) انظر الاتقان ٢/٢٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٦٤ .

(٤) الاتقان ٢/٢٤ .

مناقشة هذا القول :

وقد رد الفخر علي هذا الرأي فقال :

: وأما قول بعضهم : إنه من أسماء الله تعالي فأبعد ، لأنه ليس جعله إسما لله تعالي أولي من جعله إسما لبعض رسله من الملائكة أو الأنبياء ، لأن الإسم إنما يصير إسما للمسمي بواسطة الوضع والإصطلاح ، وذلك مفقود ههنا (١) " .

وفي الواقع لو تأملنا القرآن الكريم لوجدنا أن " كهيعص " لم ترد في أسمائه الحسني . فالله يسمي نفسه بالذات نحو " الله " ، أو بالصفات نحو " الرحمن " ، " الرحيم " ، " العظيم " .. الخ .

وعلي افتراض صحة هذه الروايات ، يمكن تخريجها علي النحو التالي : علي حذف مضاف والتقدير : " يامنزّل سورة كهيعص " ولكن هذا بعيد ، ويبعد معه أن تكون إسما لله تعالي .

بالإضافة إلي أن الرسول صلي الله عليه وسلم لم يَدْعُ الله بأحد هذه الحروف أو بجميعها علي أنها اسم من أسماء الله تعالي ، إذ لو كانت إسما من أسمائه سبحانه لكان أول من يدعو بها حبيبه المصطفي ﷺ .

ولما انتفي دعاءه بها ، إنتفي معه أنها من أسماء الله .

---

(١) مفاتيح الغيب ١٤/١٥ .

٢ – أنها حروف مقطعة :

وذلك لأنها رموز لبعض أسماء الله تعالي أو صفاته أو أفعاله . وكل حرف منها لمعني غير معني الحرف الآخر .

وقد رووا فيها من الأسانيد ماجُرِّح ، ومن المتون مايصلح للتمثيل لا للاستدلال . فقد روي عن ابن عباس أنه قال في (آلمَ) :

" الألف إشارة إلي أنه أحد ، أول ، آخر ، أزلي ، أبدي ، واللام إشارة إلي لطيف ، والميم إشارة إلي أنه ملك ، مجيد منان [(١)] " .

وقال أيضا في " كهيعص " :

إنه ثناء من الله تعالي علي نفسه ، والكاف يدل علي كونه كافيا ، والهاء يدل علي كونه هاديا ، والعين يدل علي العالم ، والصاد يدل علي الصادق [(٢)] " .

إلي غير ذلك من أقوال وردت خلاصتها : أنها حروف دالة علي كلمات أخذت منها وحذفت بقيتها ، وقد كان الإكتفاء ببعض الكلمة معهود . فقد قال الشاعر :

قلت لها قفي فقالت ق أي : وقفت [(٣)] .

وقد استدلوا علي جواز الإكتفاء ببعض الكلمة بما روي عن النبي ﷺ :

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ٦/٢ ، والإتقان في علوم القرآن ٢١/٢ – ٢٢ .

(٢) انظر المرجعين السابقين .

(٣) ذكره الطبري في جامع البيان في تفسير القرآن ٧٠/١ ، والقرطبي في الجامع لاحكام القرآن ١٥٥/١ ، وابن حيان في البحر المحيط ٣٥/١ .

" من أعان علي قتل مسلم بشطر كلمة [١] " .

قال الشوكاني :

" قال شقيق : هو أن يقول في : اقتل : (أُ ق) [٢] " .

- مناقشة هذا القول :

هذا القول أيضا كسابقه فيه نقاش ، لأن من قال إنها إسم من أسمائه أو صفة من صفاته أو فعل من أفعاله لم يأت بدليل علي قوله . فقوله مجرد إجتهاد شخصي لادليل عليه نقلي أو عقلي ، وإنما هو مجرد ضرب من ضروب التمثيل ومحاولة لإخضاع تلك الحروف لتفسيرات ذاتية .والدليل علي قولنا هذا أن في تفسيرهم لحروف " كهيعص " وجدوا مقابلا من صفات الله لحرف الكاف والهاء والعين والصاد ، أما حرف الياء فقد أغفلوه تماما لعدم وجود صفة من صفات الله تبدأ به .

فإن كانت هذه الحروف حقا - كما يقولون - تعبيرا واختزالاً لصفاته ، لكان لكل حرف منها مايقابله من صفاته سبحانه ، وقد رأينا غير ذلك .

بالإضافة إلي تلك الآراء التي وردت عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

" إن الحروف في اسم الله الأعظم ، إلا أنا لانعرف تأليفه منها [٣] " .

---

(١) اخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب الديات ، ٢/٨٧٤ . وقال في الزوائد : في إسناده يزيد بن أبي زياد . بالغوا في تضعيفه ، حتي قيل كانه حديث ضعيف .

(٢) فتح القدير ١/٢٩ .

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني ١/٢٩ ، وانظر ايضا الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ١/١٥٥ .

وهذه الرواية مردودة ، لأنها لوكانت من اسم الله الأعظم ، لكان أول من أيّد ذلك رسول الله ﷺ ، الذي ورد عنه في اسم الله الأعظم أنه قال : " اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين (وَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحد لاإِلَهَ إلا واحد إِلاَّ هُوَ الرَّحمَن الرّحيمُ) وفاتحة آل عمران (أَلَمَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحيُّ القَيُّومُ) (١) ".

فالآية الأولي ليس فيها حروف مقطعة ، إذن المراد باسم الله الأعظم الوحدانية والرحمن ، والرحيم ، وبقياس الآية الثانية علي الأولي يكون المراد بالاسم الأعظم : الحيّ ، والقيوم .

فكيف تنسجم تلك الرواية مع ماسبق مما روي أن ابن عباس رضي الله عنه قال إن تأليف اسم الله الأعظم من تلك الحروف ؟ ! .

– ومنها أنها أسماء للسور :

وذلك أن كل سورة تسمي بما افتتحت به من تلك الحروف . و (الم) اسم لهذه ، و (حم) اسم لتلك . فكما أن الأسماء وضعت للتمييز ، فكذا هذه الحروف وضعت لتمييز هذه السور عن غيرها .

وقد نسب هذا القول الي عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذي قال :

" إنما هي أسماء للسور (٢) " .

---

(١) اخرجه الترمذي . كتاب الدعوات ٥١٧/٥ . قال أبو عيس : هذا حديث ، حسن ، صحيح . كما اخرجه ابن ماجه في سننه . كتاب الدعاء : باب إسم الله الأعظم ١٢٦٧/٢ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٦٤/١ ، وفتتح القدير ٢٩/١ ، والجامع لاحكام القرآن ١٥٦/١ .

وقال العلامة الزمخشري : " وعليه إطباق الأكثرون [١] " .

وقال الفخر الرازي : " والمختار عند أكثر المحققين من هذه الأقوال أنها أسماء للسور [٢] " .

ويؤيد ذلك ابن كثير بقوله :

" ويعتضد لهذا بما ورد في البخاري [٣] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة (الَمَ السجدة) ، و (هل أتي علي الانسان) .

وقال أيضا : " وقال سفيان الثوري عن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال : الم ، وحم ، والمص ، وص فواتح افتتح الله بها القرآن [٥] " .

وقال : " وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسي بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجيح عنه انه قال : (الم) اسم من أسماء القرآن [٦] " .

وأضاف ابن كثير قائلا : " ولعل هذا يرجع إلي معني قول عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم انه اسم من أسماء السور ، فإن كل سورة يطلق عليها

---

(١) الكشاف ٨٣/١ .

(٢) مفاتيح الغيب ٨/٢ .

(٣) اخرجه البخاري في صحيحه . كتاب الجمعه ، باب مايقرأ في صلاة فجر يوم الجمعه ٣١٤/٢ من الفتح.

(٤) تفسير ابن كثير ٦٤/١ .

(٥) المرجع السابق .

إسم القرآن ، فإنه يبعد أن يكون (المص) إسما للقرآن كله ، لأنه المتبادر إلي فهم سامع من يقول قرأت (المص) إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف لالمجموع القرآن [١] " .

ويقاس علي ذلك (الم) ، إلا أن (الم) وبعض الحروف المقطعة الأخري لم تقتصر علي سورة واحدة ، إذ افتتح بها عدة سور ، فكيف يمكننا التمييز بينها إذا وردت تلك الحروف دون اسم السورة ؟ .

يقول الزركشي : " قد يقع الوفاق بين اسمين لشخصين ثم يميز بعد ذلك بصفة وقعت ، كما يقال : زيد وزيد ، ثم يميزان بأن يقال : زيد الفقيه ، وزيد النحوي . فكذلك إذا قرأ القارئ : (الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ) [٢] " . فقد ميزها عن (الٓمٓ . اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ [٣] " .

والذين ذهبوا إلي هذا القول استدلوا علي ذلك بأن العرب قد سمّت " بهذه الحروف أشياء ، فسموا بلام والد حارثة بن لام الطائي ، وكقولهم للنحاس : صاد وللنقد عين ، وللسحاب غين ، وقالوا : جبل قاف ، وسموا الحوت : نونا [٤] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٦٤/١ .

(٢) سورة البقرة : ١ ، ٢ .

(٣) سورة آل عمران الآيتان ١ ، ٢ والقول : انظر البرهان في علوم القرآن ١٧٤/١ .

(٤) مفاتيح الغيب ٥/٢ .

وقال الإمام محمد عبده :

" (الَمَ) هو وأمثاله أسماء للسور المبتدأه به ، ولا يضر وضع الاسم الواحد كـ (الم) لعدة سور ، لأنه من المشترك الذي يعين اتصاله بسماه [1] " .

مناقشة هذا القول :

من المعروف بداهة ونقلا أن أسماء السور توقيفية ، أي لا دخل لفرد بالغا مابلغ علمه أن يدلي بدلوه فيها . ولم يجترئ أحد علي أن يسمي سورة من سور القرآن الكريم من عنده .

وكان ﷺ " كلما أنزل عليه شئ " من القرآن أمر بكتابته . ويقول في مفترقات الآيات : ضعوا هذه في سورة كذا [2] " .

ولو كانت هذه الحروف أسماء للسور ، لوجب أن يعلم ذلك بطريق التواتر ولوجب إشتهار هذه السور بها لابسائر الأسماء الأخري . كأن نقول (الم) بدلا من سورة (البقرة) ، و(الم) بدلا من سورة (آل عمران) ، و(الم) بدلا من سورة (العنكبوت) . لكن الواقع أننا نقول : سورة البقرة وسورة آل عمران وسورة العنكبوت .. الخ .

إذن هذه الحروف المقطعة لاتعطي الغرض المطلوب وهو أنها أسماء لسور معينة لأنها لاتميز بين سورة وأخري إلا بذكر مابعدها .

---

(١) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ١٢٢/١ .

(٢) البرهان ٢٣٢/١ .

أيضا لو كانت أسماء للسور ، لوجب أن لاتخلو سورة من سور القرآن الكريم من اسم علي هذا الوجه . لكن هذه الحروف المقطعة لم ترد إلا في تسع وعشرين سورة فقط ، فهل عرت السور الأخري من الأسماء ؟ ! .

مما سبق يتضح لنا أن القول بأنها أسماء للسور قول ضعيف .

٤ – ومنها أنها أقسام :

قال بعض العلماء إنها أقسام أقسم الله بها (١) . واستدلوا علي ذلك بما روي عن الأخفش قال :

" إن الله تعالي أقسم بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها ولأنها مباني كتبه المنزلة بالألسنة المختلفة (٢) .

ويري الأخفش أنه قد يذكر الجزء ويراد به الكل حتي القسم ، كما تقول: قرأت الحمد وتريد السورة بالكلية ، فكأنه تعالي أقسم بهذه الحروف إن هذا الكتاب هو ذلك الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ (٣) .

وكما أقسم الله تعالي بالطور ، والقلم ، والفجر ، والتين ، والزيتون ، والعصر فكذلك شأن الحروف في القسم بها (٤) .

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ٢/٧ والبرهان١/١٧٣ .

(٢) مفاتيح الغيب ٢/٧ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) البرهان ١/١٧٣ .

قال الفخر الرازي :

" ومنهم من قال في قوله (ن) إنه قسم بالحوت الذي علي ظهره الأرض ، وهو في بحر تحت الأرض السفلي . ومنهم من قال إنه قسم بالحوت الذي احتبس يونس عليه السلام في بطنه (١) .

وقد تساءل القرطبي قائلا :

" فإن قيل ما الحكمة في وقوع القسم من الله تعالي وكان القوم في ذلك الزمان علي صنفين : مصدق ، ومكذب ؟ فالمصدق يصدق بغير قسم ، والمكذب لايصدق مع القسم .

وأجاب علي ذلك بقوله :

" القرآن نزل بلغة العرب ، والعرب إذا أراد بعضهم أن يؤكد كلامه أقسم علي كلامه والله تعالي أراد أن يؤكد عليهم بالحجة فأقسم أن القرآن من عنده (٢) .

ثم إنه يؤكد أنها للقسم في معرض رده علي نفي بعض الصحابة أنها للقسم فيقول :

" موضع القسم قوله تعالي : (لاريب فيه) ، فلو أن إنسانا حلف فقال : والله هذا الكتاب لاريب فيه ، لكان الكلام سديدا ، وتكون "لا" جوابا للقسم فثبت أن ما ورد عن ابن عباس سديد صحيح (٣) " .

---

(١) مفاتيح الغيب ٧٧/٣٠ .

(٢) الجامع لاحكام القران ١٥٦/١ .

(٣) المرجع السابق .

مناقشة هذا القول:

رأينا فيما مر من أقوال حجج من يقول إن تلك الحروف للقسم ، لكننا نجد في مقابل ذلك بعض الصحابة يقول إنها لاتصح أن تكون قسما ، لأن القسم معقود علي حروف مثل : إن ، وقد ، ولقد ، وما . ولم يوجد هاهنا حرف من هذه الحروف ، فلا يجوز أن يكون يمينا " .

وإن قال قائل : إن موضع القسم يكون في حرف (لا) التي تلي تلك الحروف كما أجاب القرطبي علي قول بعض الصحابة هؤلاء .

فإنه يمكننا أن نقول : إن حرف (لا) هذا الذي اعتمد عليه ، لم يرد في كل الآيات التي تلت الحروف المقطعة في التسع والعشرين سورة ، فإن صح قوله علي حروف في سورة واحدة ، فلا يمكن تعميمه علي باقي الحروف في باقي السور .

ومن ناحية أخري نري أن الله تعالي عندما كان يقسم ، كان قسمه صريحا وواضحا كما في قوله تعالي : (والذاريات) ، (والشمس وضحاها) ، (والتين والزيتون) .. وغيرها .

وكما في قوله تعالي بصريح القسم : (لا أقسم بيوم القيامة) و (لا أقسم بهذا البلد) .. وغيرها .

فإذا كان قد أقسم أيمانا صريحة ، فما الداعي للقسم بالمجاهيل ؟ خاصة وأن القسم لايكون إلا بشئ عظيم عند الله وظاهر للخلق ، حتي يصح عندهم الإستدلال به .

٥ – أن كل حرف منها في مدة قوم وآجال آخرين :

وذلك أن الحروف الأبجدية حروف رتبت ترتيبا رياضيا في هذا المحفوظ : أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت تخذ ضغط ، وهي كتابة رقمية لها دلالة عددية [١] .

وقديما كان اليهود يصطلحون فيما بينهم علي أعداد الجُمَّل [٢] المعروفة اليوم في الحروف العربية ، فيجعلون الألف بواحد والباء بإثنين والجيم بثلاثة والدال بأربعة وهكذا مارين علي الحروف الأبجدية إلي الياء بعشرة والكاف بعشرين ، وهكذا إلي القاف بمائة والراء بمائتين ، وهكذا إلي الظاء ألف [٣] وهو مايعرف بـ " حساب الجُمَّل " .

وقد فهم اليهود عند سماع (الم) أنها رمز إلي ما يصطلحون عليه من العدد الذي يجعلونه دلالة علي مدة بقاء الأمة الإسلامية . فقد أخرج ابن ابي اسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال : "مرّ أبو ياسر بن أخطب في رجال من اليهود برسول الله ﷺ وهو يتلو فاتحة سورة البقرة (الم . ذلك الكتاب لاريب فيه)

---

(١) لسان العرب . لابن منظور ١١/١٢٨ .

(٢) حساب الجُمَّل : بضم الجيم وفتح الميم وتشديدها ضرب من الحساب ، يجعل فيه لكل حرف من الحروف الابجدية عدد معين من الواحد إلي الألف علي ترتيب خاص . فما أن نصل إلي العشرة الأولي حتي ينتقل العدّ من الآحاد إلي العشرات . وما أن نصل إلي المائة الأولي حتي ينتقل العدّ إلي الألوف .

انظر : المعجم الوسيط ١/١٣٧

(٣) الجواهر في تفسير القرآن ، للشيخ طنطاوي جوهري ٢/٥ .

فأتي أخاه حيي بن أخطب في رجال من اليهود فقال : تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل عليه (الم ذلك الكتاب) . فقال : أنت سمعته ؟ قال : نعم . فمشي حيي في أولئك النفر إلي رسول الله ﷺ فقالوا : ألم تذكر أنك تتلو فيما أنزل عليك (الم ذلك الكتاب) ؟ فقال : بلي . فقالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء مانعلمه بيّن لنبي منهم مامدة ملكه ، وما أجل أمته غيرك . الألف بواحد واللام بثلاثين والميم بأربعين ، فهذه إحدي وسبعون سنة ، أفندخل في دين نبي إنما ملكه وأجل أمته إحدي وسبعون سنة ؟ ثم قال : يامحمد ، هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم (المص) . قال : هذه أطول : الألف بواحد واللام بثلاثين والميم بأربعين والصاد بتسعين ، فهذه إحدي وستون ومائة سنة . هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم (المر) . قال : هذه أثقل وأطول . الألف بواحد واللام بثلاثين والميم بأربعين والراء بمائتين ، هذه إحدي وسبعون ومائتا سنة ، ثم قال : لقد لبس علينا أمرك حتي ماندري أقليلا أعطيت أم كثيرا . ثم قال : قوموا عنه .

ثم قال أبو ياسر لأخيه ومن معه : مايدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد إحدي وسبعون وإحدي وستون ومائه وإحدي وثلاثون ومائتان وإحدي وسبعون ومائتان ، فذلك سبعمائه وأربع وثلاثون سنة .

فقالوا : لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم :

(هُوَ الذي أنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ ، منه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أمُّ الكِتَابِ ، وأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) [١] " .

مناقشة هذا الرأي :

ويرد الشوكاني عليهم قائلا :

" فانظر مابلغت إليه أفهامهم من هذا الأمر المختص بهم من عدد الحروف مع كونه ليس من لغة العرب في شئ ، وتأمل أي موضع أحق بالبيان من رسول الله صلي الله عليه وسلم من هذا الموضع فإن هؤلاء الملاعين قد جعلوا مافهموه عند سماع (الم ذلك الكتاب) من ذلك العدد موجبا للتثبيط عن الإجابة له والدخول في شريعته ، فلو كان لذلك معني يعقل ومدلول يفهم ، لدفع رسول الله صلي الله عليه وسلم ماظنوه باديً بدء حتي لايتأثر عنه ماجاءوا به من التشكيك علي من معهم [٢] " .

كما أن هذا الخبر ضعيف ، فقد نص الشوكاني علي ذلك قائلا :

" اخرج ابن اسحاق والبخاري في تاريخه وابن جرير بسند ضعيف عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله .. الحديث [٣] " .

(١) الآية : سورة آل عمران : ٧ ، والأثر أورده الطبري في جامع البيان ١/٧١ -٧٢ والفخر الرازي في مفاتيح الغيب ٢/٧ ، والشوكاني في فتح القدير ١/٣١ وابن كثير في التفسير ١/٦٨ - ٦٩ ، والسيوطي في الاتقان ٢/٢٥ - ٢٦ .

(٢) انظر فتح القدير ١/٣١ .

(٣) المرجع السابق .

وقد عقّب ابن كثير علي هذا الحديث فقال : " وأما من زعم أنها دالة علي معرفة المدد ، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوداث والفتن والملاحم ، فقد ادعي ماليس له ، وطار في غير مطاره ، وهذا ضعيف . وهو مع ذلك أدل علي بطلان هذا المسلك من التمسك به علي صحته (١)".

كما أن حساب الجُمَّل وطرائقه قوام السحر وطلاسمه ، ومن ثمّ قرر ابن حجر فقال : " هذا باطل ، لا يعتمد عليه (٢) " .

وقد عقب الإمام محمد عبده علي هذا الرأي فقال :

" إن أضعف ماقيل في هذه الحروف وأسخفه أن المراد بها الإشارة بأعدادها في حساب الجُمَّل إلي مدة هذه الأمة أو مايشابه ذلك .. وهو ضعيف من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله (٣) " .

وفيما مر من ردود ، نجد الغنية عن ذكر رأينا ، لأنه موافق لما مر .

٦ - ومنها أنها للإنتباه والإستماع :

إذ أعرض المشركون عند سماع القرآن الكريم ، وصموا آذانهم عنه ، فأراد سبحانه أن ينبههم بتلك الحروف ليستمعوا لما سيتلي عليهم بعدها.

---

(١) تفسير ابن كثير ٦٨/١ .

(٢) ذكره السيوطي في الاتقان ٢٦/٢ .

(٣) تفسير المنار . لمحمد رشيد رضا ١٢٢/١ - ١٢٣ .

فقد روي : " أن الكفار لما قالوا : (لاتَسْمَعُوا لِهَذاَ القُرآنِ والغَوْا فِيِه لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) (١) " ، وتواصوا بالإعراض عنه ، أراد الله تعالي لما أحب من صلاحهم ونفعهم أن يورد عليهم مالا يعرفونه ، ليكون ذلك سببا لإسكاتهم وإستماعهم لمايرد عليهم من القرآن ، فأنزل الله تعالي عليهم هذه الحروف ، فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين : إسمعوا إلي مايجئ به محمد (عليه السلام) ، فإذا أصغوا ، هجم عليهم القرآن ، فكان ذلك سببا لاستماعهم وطريقا إلي انتفاعهم (٢) " .

وقد نسب هذا القول لابن روق وقطرب (٣) .

موقف العلماء من هذا القول :

لقد اختلف العلماء في هذا القول بين معارض ومؤيد ، فمن الذين عارضوا هذا القول ابن كثير ، قال : " وهو ضعيف ، لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور لايكون في بعضها ، بل غالبها ليس كذلك . ولو كان كذلك أيضا لا نبغي الإبتداء بها في أوائل الكلام معهم ، سواء أكان افتتاح سور أو غير ذلك .

ثم إن هذه السورة والتي تليها – أعني البقرة وآل عمران – مدنيتان

---

(١) سوره فصلت : ٢٦ .

(٢) ذكر هذه الرواية الفخر الرازي في مفاتيح الغيب ٦/٢ ، والقرطبي في جامع البيان ١٥٥/١ ، والشوكاني في فتح القدير ٢٩/١ ، والزركشي في البرهان ١٧٥/١ .

(٣) مفاتيح الغيب ٦/٢ .

ليستا خطابا للمشركين (١) " .

وقد اختار الشيخ محمد رشيد رضا هذا القول فقال : " والمختار عندنا أن حكمة افتتاح هذه السور وأمثالها بأسماء حروف ليس لها معني مفهوم غير مسمي تلك الحروف التي يتركب منها الكلام ، هي تنبيه السامع إلي ماسيلقي إليه بعد هذا الصوت من الكلام ، حتي لايفوته منه شئ ، فهي كأداة الإفتتاح " ألا " وهاء التنبيه (٢) " .

كما حسَّنَه وقواه الدكتور / صبحي الصالح فقال : وإن إنطباق هذه الحكمة علي الواقع النفسي لمن كان القرآن موجها إليهم حين نزول الوحي ، لايزيدنا إلا إستمساكا بهذا الرأي ، ولأمر ما افتتحت جميع السور التي في أولها حروف مقطعة بذكر الكتاب أو معان تتعلق بالوحي والنبوة .

ومن المعلوم أن هذه السور كلها مكية إلا سورة البقرة وآل عمران ، فأما المكية فلدعوة المشركين إلي إثبات النبوة والوحي ، وأما الزهراوان المدنيتان فلمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن .

وكانت تلك الفواتح كفيلة بتنبيه هؤلاء وأولئك إلي ماكان يلقي عليهم حتي لايفوتهم شئ (٣) " .

ولكني أري أن هذا الإستحسان والأختيار ، وذاك الرفض ، وتلك

---

(١) تفسير ابن كثير ٦٧/١ .

(٢) في تفسير المنار ٢٩٨/٨ .

(٣) مباحث في علوم القرآن ص ٢٤٥ .

المعارضة إنما نتج عن أهواء وآراء شخصية لم يعتمد أحد من الفريقين علي دليل قوي ساطع ليلزم به خصمه .

كما أن هناك آيات أخري توجب عليهم الحجة وتأمرهم بالسماع ، وتحث عليه باللفظ الصريح ، نحو قوله تعالي :

(وإذا قُرِيءَ القُرْآنُ فاسْتَمِعُوا له وأنصِتُوا (١) " .

فالقضية ليست قضية سماع للقرآن بدليل أنهم كانوا يسمعون ويستكبرون كما في قوله تعالي :

(وَإذا تُتْلَي عليه آياتُنَا وَلَّي سْتَكْبِراً كأن لم يَسْمَعْهَا ، كأنَّ في أُذُنَيْهِ وَقْراً) (٢) " .

والحجة قائمة سمع أم لم يسمع ، فعدم السماع عناد مقصود يستلزم الحساب .

فثبت لدينا أن القول بأن هذه الحروف للتنبيه وجذب الآذان ، قول ضعيف يحتاج إلي برهان .

٧ – ومنها أنها تدل علي انقطاع كلام واستئناف كلام آخر :

قال الطبري : " افتتح الله بها ليعلم أن السورة التي قبلها قد انقضت

---

(١) سوره الاعراف : ٢٠٤ .

(٢) سورة لقمان : ٧ .

، وأنه قد أخذ في أخري فجعل هذا علي انقطاع مابينهما [١] " .

وروي هذا لمجاهد بن جبير قولا [٢] ، ونسب لأحد بن يحيي بن ثعلب رأيا [٣] .

وقرر هذا الفريق أن هذا الأسلوب لدي العرب ، فكان الرجل منهم ينشد الشعر فيقول : بل .

" وبلدة ما الأنس من آهالها ويقول لا ، بل

ماهاج أحزانا وشجوا قد شجا .

و(بل) ليست من البيت ولاتعد في وزنه ، ولكن يقطع بها كلاما ويستأنف الآخر [٤] .

تفنيد هذا القول :

ويري بعض الباحثين حينما عقّب علي هذا القول أن هذا في الشعر شئ يثير العجب ، فإما أن يكون قطعا لحديث معهود – والعهد ذكري أو علمي أو حضوري أو ذهني – ثم استقبالا لموعود يصير ماثلا أمام القابل ، وإما أن يكون إنتقالا من أمر ذاتي نفسي لاسبيل الي التحول إليه أو التعرف عليه ، يفجؤنا قائله بتلك النتيجة التي وصل إليها رد فعل أو

---

(١) تفسير الطبري ٦٩/١ .

(٢) المرجع السابق ٦٧/١ .

(٣) تفسير الفخر الرازي ٧/٢ .

(٤) تفسير الطبري ٦٩/١ .

إجلال حديث أو تهيب موقف وهي تعدية القول فيما هو مراد إلي غير ذلك من ضروب الطننات وفنون التخرصات .. فما بال فواتح السور ؟ .

إن كتاب الله نزل علي الرسول صلي الله عليه وسلم آيات مختلفة ولم ينزل سورا مؤتلفة ، والسور كانت منجمة ولم تكن الآيات مجتمعة ، ففيم إعلامها بانقضاء السورة والأخذ في أخري وهي التي كانت مجموعة ولم تكن فيها كلها (١) " .

وقد كان المسلمون لايعلمون انقضاء السورة حتي تنزل البسملة . والدليل علي ذلك ماروي عن ابن عباس قال : " كان النبي ﷺ لايعرف فصل السورة حتي تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم (٢) " .

كما روي عن ابن عباس أيضا قال : " كان المسلمون لايعلمون انقضاء السورة حتي تنزل بسم الله الرحمن الرحيم ، فإذا نزلت علموا أن السورة قد انقضت (٣) " .

فهذه الأحاديث تدل علي أن البسملة كانت بيانا علي إنقضاء السورة والأخذ في أخري وليست حروف التهجي كما يقولون هي الدالة علي

---

(١) د . محمد بدوي في كتابه : براعة الاستهلاك في فواتح القصائد والسور .ص ١٤٧.

(٢) اخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة ، باب من جهر بها ٢/ ٥٠٠ . والحاكم في المستدرك . كتاب الصلاة ، باب كان النبي صلي الله عليه وسلم لايعلم ختم السورة حتي تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم ٢٣١/١ . قال الذهبي : اما هذا فثابت .

(٣) اخرجه الحاكم في المستدرك . كتاب الصلاة ، باب كان النبي صلي الله عليه وسلم لايعلم ختم السورة حتي تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم ٢٣٢/١ .
قال الحاكم : هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .
قال الذهبي : رواه رحيم هكذا دون سعيد بن جبير .

ابتداء السورة وانقطاع كلام واستئناف آخر .

٨ – ومنها قولهم إنها للتحدي :

وقد اختلفت عبارات العلماء واتحدت غايتهم حملا علي الإعجاز ، وكانت معزوة إلي قطرب [١] ، والفراء [٢] ، والمبرد [٣] ، واختاره جمع عظيم من المحققين ، ومؤداها بعبارة الفخر الرازي :

" إن الله تعالي إنما ذكرها إحتجاجا علي الكفار ، وذلك أن الرسول صلي الله عليه وسلم لما تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن ، أو بعشر سور ، أو بسورة واحدة ، فعجزوا عنه ، أنزلت هذه الحروف تنبيها علي أن القرآن ليس إلا من هذه الحروف وأنتم قادرون عليها . وعارفون بقوانين الفصاحة ، فكان يجب أن تأتوا بمثل هذا القرآن فلما عجزتم عنه ، دل ذلك علي أنه من عند الله لا من عند البشر [٤] .

ووجه المسار في ذلك منسوب الي أهل العربية كما أسماهم الطبري إذ قال : " هي حروف من حروف المعجم ، استغني بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفا ، كما استغني المخبر عمن أخبر عنه أنه في حروف المعجم الثمانية

---

(١) البحر المحيط ٣٤/١ .

(٢) فتح القدير ٢٩/١ .

(٣) انظر مفاتيح الغيب ٦/٢ ، ومن الذين اختاروا هذا الرأي الشيخ سيد قطب في ظلال القرآن ٣٨/١ ، وغيره .

(٤) مفاتيح الغيب ٦/٢ .

والعشرين بذكر أ ب ت ث عن ذكر بواقي حروفها التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفا (١) " .

وتلمست آثار هذا الرأي – الذي قاله أهل العربية – فوجدت طريقه في المعاني التي ذكرها الباقلاني في وجوه تكشف عن بديع النظم المتضمن لإعجاز القرآن ، ممثلة في المعني التاسع لديه إذ قال :

" ليدل بالمذكور علي غيره ، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف علي ماقسمه أهل العربية وبنوا عليها وجوها نحن ذاكروها . فمن ذلك : أنهم قسموها إلي حروف مهموسة ، وأخري مجهورة والمهموسة منها عشرة وهي : الحاء والهاء والكاف والشين والثاء والفاء والتاء والصاد والسين ، وماسوي ذلك من الحروف فهي مجهورة .

وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور ، وكذلك نصف الحروف المجهورة علي السواء لازيادة ولانقصان .

والمجهور معناه : أنه حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع أن يجري معه حتي ينقضي الإعتماد ويجري الصوت .

والمهموس : كل حرف ضعف الإعتماد في موضعه حتي يجري معه النفس ، وذلك مما يحتاج إلي معرفته لتبتني عليه أصول العربية .

وكذلك مما يقسمون إليه الحروف يقولون إنها علي ضربين :

(١) تفسير الطبري ٦٨/١ .

أحدهما : حروف الحلق ، وهي ستة أحرف : العين والحاء والهمزة والهاء والخاء والغين . والنصف من هذه الحروف مذكور في جملة الحروف التي تشتمل عليها الحروف المبنية في أوائل السور ، وكذلك النصف من الحروف التي ليست بحروف الحلق [١] .

ويستأنف قائلا :

" وكذلك تنقسم هذه الحروف إلي قسمين آخرين : أحدهما حروف غير شديدة ، وإلي : الحروف الشديدة ، وهي التي تمنع الصوت أن يجري فيه وهي : الهمزة والقاف والكاف والجيم والظاء والذال والطاء والباء ، وقد علمنا أن نصف هذه الحروف أيضا هي مذكورة في جملة تلك الحروف التي بني عليها تلك السور [٢] " .

ويسترسل الباقلاني فيقول :

" ومن ذلك الحروف المطبقة وهي أربعة أحرف وما سواها منفتحة ، فالمطبقة : الطاء والضاد والصاد . وقد علمنا أن نصف هذه في جملة الحروف المبدؤ بها في أوائل السور . وإذا كان القوم الذين قسموا الحروف هذه لأغراض لهم في ترتيب العربية وتنزيلها بعد الزمان

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني علي هامش الاتقان للسيوطي ٨١/١ – ٨٢ .

(٢) المرجع السابق ٨٣/١ – ٨٤ .

الطويل من عهد النبي صلي الله عليه وسلم ، ورأوا مباني اللسان في هذه الجهة .

وقد نبه بما ذكر في أوائل السور عي مالم يذكر علي حد التصنيف الذي وصفنا دل علي أن وقوعها الموقع الذي يقع التواضع عليه بعد العهد الطويل ، لايجوز أن يقع إلا من الله عز وجل ، لأن ذلك يجري مجري علم الغيوب (١) " .

وقال :

" وإن كان إنما نبهوا علي مابني عليه اللسان في أصله ولم يكن لهم في التقسيم شئ وإنما التأثير لمن وضع أصل اللسان ، فذلك أيضا من البديع الذي يدل علي أن أصل وضعه وقع موقع الحكمة التي يقصر عنها اللسان ، فان كان أصل اللغة توقيفا ، فالأمر في ذلك أمين . وإن كان علي سبيل التواضع ، فهو عجيب أيضا ، لأنه لايصح أن تجتمع هممهم المختلفة علي هذا النحو إلا بأمر من الله تعالي :

وكل ذلك يوجب إثبات الحكمة في ذكر هذه الحروف علي حد يتعلق به الإعجاز من وجه (٢) " .

ثم يعاود ليختم :

" وقد يمكن أن تعاد فاتحة كل سورة لفائدة تخصها في النظم إذا كانت

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق ١/٨٤ – ٨٥ .

حروفا كنحو (الم) ، لأن الألف المبدوء بها هي أقصاها مطلقا ، واللام متوسطة والميم متطرفة ، لأنها تأخذ في الشفة ، فنبه بذكرها علي غيرها من الحروف ، وبيّن أنه إنما أتاهم بكلام منظوم بما يتعارفون من الحروف التي تردد بين هذين الطرفين (١) " .

وقال البيضاوي : " إن النطق بأسماء الحروف مختص بمن خط ودرس . فأما الأمّي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعي في ذلك مايعجز عنه الأريب (٢) .

وأما الشيخ محمد متولي الشعراوي فيقول مؤيدا هذا الرأي :

" إن النبي صلي الله عليه وسلم لم يقرأ .. ولم يكتب طول حياته ... ولم يتعلم القراءة والكتابة ... ولم يدرس الأدب ولاالشعر ... ولا النثر ... ولا علم الكلام ... فالإنسان الأمي قد ينطق الكلمات وقد ينظم الشعر والنثر والسجع ولكنه لايستطيع أبدا أن يأتي بالحروف التي تتكون منها الكلمات ... ، ومحمد صلي الله عليه وسلم نبي أميّ لايعرف أسماء هذه الحروف أبدا ... ولكنه جاء بأسماء هذه الحروف إثباتا بأن هذا ليس كلام محمد عليه الصلاة والسلام ، لأنه لو كان كلام محمد - وهو رجل لم يقرأ ولم يكتب في حياته - لكان من المستحيل أن يعرف أسماء الحروف

(١) المرجع السابق ٨٥/١ .

(٢) انوار التنزيل وأسرار التاويل ٤٢/١ .

التـــي لايعــرفــهــا ولايــســتــطيـــــع أن يـنـطق بـهـا إلا مـن تـعلـم الـقــراءة والكتابة (١) " .

ولكن هناك ردا من الشوكاني علي هذا الرأي ، يقول فيه :

" إذا كان المراد منه إلزام الحجة والتبكيت كما قال ، فهذا متيسر بأن يقال لهم : هذا القرآن هو من الحروف التي تتكلمون بها ليس هو من حروف مغايرة لها ، فيكون هذا تبكيتا وإلزاما يفهمه كل سامع منهم من دون إلغاز وتعمية وتفريق لهذه الحروف في فواتح تسع وعشرين سورة ، فإن هذا مع مافيه من التطويل الذي لايستوفية سامعه إلا بسماع جميع هذه الفواتح هو أيضا مما لايفهمه أحد من السامعين ولايتعقل شيئا منه فضلا عن أن يكون تبكيتا له وإلزاما للحجة أيا كان (٢) " .

وقال الشيخ محمود شلتوت :

" .... وما كان للعرب أن يجهلوا أو يغفلوا عن أن القرآن الذي يتلوه عليهم محمد صلي الله عليه وسلم هو من هذه الحروف . أما عجزهم عن الإتيان بمثله فهو أمر يعرفونه من أنفسهم ، ويعرفه التاريخ عنهم ، وقد سجله القرآن عليهم بالعبارة الواضحة البينة ، فليس الأمر في

---

(١) معجزة القرآن ٤٣/١ – ٤٤ .

(٢) فتح القدير ٣/١ .

القضيتين [١] بمحتاج إلي استخدام رمز كهذا الرمز البعيد الذي لايستند إلي نقل صحيح ، ولا فهم واضح [٢] " .

٩ – وقد ورد في بعضها أقوال أخر :

" فقيل إن (طه) ، (يس) بمعني يارجل أو يا محمد أو يا إنسان .

وقيل : هما إسمان من أسماء النبي صلي الله عليه وسلم [٣] .

وقال الكرماني في غرائبه :

" (طه) أي يابدر ، لأن الطاء بتسعة والهاء بخمسة ، فذلك أربعة عشر إشارة إلي البدر لأنه يتم فيها [٤] " .

وعن الحسن رضي الله عنه في تفسير قوله تعالي : (طه) :

" أنه أمر بالوطء ، وأن النبي صلي الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده علي إحدي رجليه ، فأمر أن يطأ الأرض بقدميه معا ، والأصل طأ فقلبت همزته هاء [٥] " .

---

(١) القضيتان : إحداهما : أن هذه من حروف التهجي المعروفة عند العرب ، التي يتركب منها كلامهم ، وأن القرآن مؤلف منها .
والاخري : انهم مع ذلك عجزوا عن الاتيان بمثله . انظر تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت ص ٥٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٦ .

(٣) الاتقان في علوم القرآن ٢/ ٢٨ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) الكشاف ٢/ ٥٢٨ .

ويقول ابن القيم : " إن الصحيح أن (يس) بمنزلة (حم) ، (الم) وليست إسما من أسماء النبي صلي الله عليه وسلم [١] " .

ويقول د/محمد بدري :

" ولو كان (طه) و (يس) ، (حم) من أسمائه صلي الله عليه وسلم ، لكانت أولي بالذكر والتصريح وهي القرآنية علي زعمهم [٢] " .

أيضا قال : " ما أشكل به بعضهم من توجيه الخطاب في (طه) بقوله : (مَا أَنزَلنَا عَلَيكَ القُرآنَ لِتَشْقَي) [٣] ، وفي (يس) بقوله : (إنَّكَ لَمِنَ الْمُرسَلِين) [٤]، فليس فيه دليل علي كونهما أسماء للنبي ، فلقد وجّه الخطاب ابتداء في قوله : (انا أعطنياك الكوثر) [٥] " .

وقيل : هي حروف اشتمل كل حرف منها علي معان شتي مختلفة نحو قولهم : (ص) اسم بحر عليه عرش الرحمن .

وقيل : اسم بحر يحيي به الموتي .

وقيل : معناه : صاد مجمد قلوب العباد . حكاها الكرماني كلها [٦] .

---

(١) التبيان في اقسام القرآن ٣١٢/٢ .

(٢) في كتابه : براعة الاستهلاك في فواتح القصائد والسور ص ٢٠٣ .

(٣) سورة طه : ٢ .

(٤) سورة يس : ٣ .

(٥) الآية : سورة الكوثر : ١ ، والنص بأسرة من : براعة الاستهلاك للدكتور / محمد بدري ص ٢٠٣ .

(٦) الاتقان ٢٩/٢ .

وقيل : (ق) جبل محيط بالأرض [١] .

وقيل : هو قارعة من السماء تصيب الناس [٢] .

وقيل : (ن) هو السمكة [٣] .

ومن اسرار الإستفتاح بالحروف المفردة مثل (ق و (ص)و (ن) : مـاأفصح عنه علماء التنزيل من وجود علاقة وطيدة بين هذه الفواتح وبين سورها فقد أبان الإمام الزركشي طرفا من هذه الأسرار فقال : " وتأمل السورة التي اجتمعت علي الحروف المفردة ، كيف نجد السورة مبنية علي كلمة ذلك الحرف .

فمن ذلك : " ق والقرآن المجيد " فإن السورة مبنية علي الكلمات القافية ، من ذكر القرآن ، ومن ذكر الخلق ، وتكرار القول ومراجعته مراراً ، والقرب من ابن آدم ، وتلقي الملكين ، وقول العتيد ، وذكر الرقيب ، وذكر السابق ، والقرين ، والإلقاء في جهنم ، والتقدم بالوعد ، وذكر المتقين ، وذكر القلب ، والقرن ، والتنقيب في البلاد ، وذكر القتل [٤] مرتين ، وتشقق الأرض ، وإلقاء الرواسي فيها ، وبسوق النخل ، والرزق ، وذكر القوم ، وخوف الوعيد ، وغير ذلك .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) روح المعاني للألوسي ١٠/٢٥ .

(٣) مفاتيح الغيب ٧٧/٣٠ .

(٤) هكذا في الأصل ولكن القتل لم يرد في السورة الكريمة ، لذا رجح عندي أن اللفظة مصحفة عن لفظة (القبل) فهي التي ذكرت مرتين في قوله تعالي (.. وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وذلك في الآية رقم (٣٩) .

وسر آخر : وهو أن كل معاني السورة مناسب لما في حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة والإنفتاح .

وإذا أردت زيادة إيضاح فتأمل ماشتملت عليه سوة (ص) من الخصومات المتعددة .

فأولها : خصومة الكفار مع النبي صلي الله عليه وسلم ، وقولهم : " أجعل الآلهة إلها واحدا .. " (١) . إلي آخر كلامهم .

ثم : اختصام الخصمين عند داود .

ثم : تخاصم أهل النار .

ثم : اختصام الملأ الأعلي في العلم ، وهو الدرجات والكفارات .

ثم : تخاصم ابليس ، واعتراضه علي ربه ، وأمره بالسجود .

ثم : اختصامه ثانيا في شأنه بنيه (٢) وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم . وكذلك سورة " ن والقلم " ، فإن فواصلها كلها علي هذا الوزن ، مع ماتضمنت من الألفاظ النونية " (٣) .

ويعقب الدكتور / جودة محمد المهدي علي هذا السر فيقول : " وبهذه المناسبة : ننوه بخطورة ماتردد حديثا من نظرية " الإعجاز العددي للقرآن الكريم " ، التي أثبتها بعض المعاصرين في كتبهم كالدكتور رشاد

---

(١) سورة ص الآية ٤ .

(٢) أي بني آدم الذين وقع تخاصم ابليس مع الله تعالي بسبب أبيهم آدم عليه السلام .

(٣) انظر البرهان ١/١٦٩ - ١٧٠ .

خليفة وعبد الرازق نوفل ، حيث ذهب الأول إلي أن الرقم « ١٩ » الوارد في قوله تعالي " عليها تسعة عشر " (١) هو ومضاعفاته مناط حقائق عددية مطردة في القرآن الكريم ، فهو حاصل عد " بسم الله الرحمن الرحيم " وكلمة « اسم » تكرر في القرآن الكريم « ١٩ » مرة ، ولفظ الجلالة « الله » متكرر في القرآن الكريم عدد : " ٦٩٨ " مرة = ١٩ × ١٤٢ ، ولفظ "الرحمن" تكرر « ٥٧ » مرة = ١٩ × ٣ وكذلك لفظ "الرحيم" تكرر « ١١٤ » وهذا = ١٩ × ٦ !! .

ومكمن الخطورة في هذه النظرية : أن هذا النظام الحسابي الدقيق عرضة للإنهيار كله بتغيير كلمة واحدة !! .

ولقد تعقب الدكتور محمد عبد الجليل - بالفعل - هذه النظرية وأثبت خطأها في تعداد كلمة « الرحمن » إذ أثبت بالإستقراء التام أنها وردت في التنزيل « ١١٥ » مرة وليس « ١١٤ » مره كما ذهب صاحب النظرية (٢) .

وبعد عرضي لما ورد بشأن هذه الحروف والفواتح من معان ذكرها علماء أجلاء ، قدامي ومحدثون ، وبعد التعليق الذي ذكرته في نهاية كل رأي .

أقول ، وبالله التوفيق :

بما أنه لم يرد عن النبي صلي الله عليه وسلم قول يبين لنا المراد منها - وكما رأينا ، ماورد عن الصحابة - رضوان الله عليهم - من أقوال

---

(١) سورة المدثر الآية ٣٠ .

(٢) انظر ثمار الجنان في أفنان من علوم القرآن للدكتور جوده محمد المهدي ص ١٢٣ - ١٢٤ .

متباينة متناقضة ، فمنهم من قال : " بأنها من الأسرار التي لايعلمها إلا الله تعالي . فقد روي هذا القول عن عن ابي بكر الصديق وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما (١).

وفي الوقت ذاته ورد عن الصحابة بيان لمعانيها ، منهم الإمام علَي كرّم الله وجهه والذي سبق أن ورد عنه أنها من الأسرار التي لايعلمها إلا الله .

ومن هنا رأينا أن الرأي وضده قد ورد عن الصحابي الواحد .

أما بالنسبة لصحة أو كذب ماروي عنهم ، فهناك كثير من الروايات أوردها العلماء بسندها دون نص علي مدي صحتها .

أيضا لم يجمع علماء الأمة الإسلامية علي رأي معين في معاني هذه الحروف وإنما اختلفوا فيها .

نخلص من هذا إلي أن الله تعالي أنزل هذه الحروف في أوائل السور وسكت عنها صاحب الشرع صلي الله عليه وسلم ليطلق الحرية للعقول في فهمها ، ويذر الناس يبحثون فيها ، تنبيها علي القدرة التامة في جانب الله عز وجل ، والقصور في جانب العباد ، وستظل لله فيها أسرار.

وبهذا ينضح لي أن كل من قال برأي ، إنما قاله من وجهة نظره ، ومن

---

(١) راجع : جامع البيان للقرطبي ١٥٤/١ .

خلال فهمه واستنتاجاته ليس أكثر .

والذي أميل إليه أنها للتحدي والإعجاز ، وكأن الله سبحانه وتعالي يريد أن يبين لهؤلاء المعاندين المكابرين أن هذا القرآن الذي تحداهم به وعجزوا عن الإتيان بمثله ، أو بعشر سور ، أو حتي بسورة واحدة ، إنما هو مؤلف من جنس هذه الحروف التي ينطقون بها ، ومن اللغة العربية التي ليست دخيلة عليهم ، في حين أنهم كانوا في ذلك الوقت علماء الفصاحة والبيان .

فلما عجزوا ، دل ذلك علي أن القرآن الكريم من عند الله عز وجل ، وليس من عند البشر كما زعموا .

ولكن .. مهما قيل من أقوال وآراء ، فما هي إلا قطرة أو قطرات في بحر خلق الله الذي لا يعرف مداه سواه سبحانه وتعالي :

(قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ ربي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قبل أن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً) (١) .

وقال تعالي :

(وَلَوْ أَنَّ مَا في الأرضِ مِن شَجَرةٍ أقْلاَمٌ والبَحْرُ يَمُدُّهُ من بعدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ . إِنَّ اللَّهَ عزيزٌ حكيمٌ) (٢) .

---

(١) سورة الكهف : ١٠٩ .

(٢) سورة لقمان : ٢٧ .

النوع الثالث : الإستفتاح بالنداء :

إذا تأملنا السور التي افتتحت بالنداء في القرآن الكريم نجدها إما خطابا للناس جميعا نحو :

١ - (يَأَيُّهَا النَاسُ اتَقُوا رَبَكُمُ الَّذِي خَلقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) سورة النساء .

٢ - (يَاأَيُّهَا النَاسُ اَتقَوا رَبَكُم إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) سورة الحج .

وإما خطابا للذين آمنوا نحو :

١ - (يَا أَيُّهَا الذين آمَنُوُا أَوْفُوا بِالْعُقودِ ..) سورة المائدة .

٢ - (يَا أَيُهَا الَّذِينَ أَمَنُوَا لا تُقَدمُوا بَيَن يَدَي اللَّه وَرَسُولِهِ) سورة الحجرات .

٣ - (يَا أَيُهَا الذينَ آمَنُوُا لاَتَتخِذُوا عَدُوِي وعَدَوُكُم أوليَاءَ) سورة الممتحنة .

وإما خطابا للنبي ﷺ نحو :

١ - (يَأَيُهَا النَّبِي إِتَقِ اللَّه وَلاَ تُطِع الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ..) سورة الأحزاب .

٢ - (يَا أَيُهَا النَّبَي إِذَا طَلَّقْتُم النِسَاء فَطَلَقُوهُنَ لِعِدَتِهِنْ ..) سورة الطلاق .

٣ - (يَا أيُها النَّبي لِمَ تُحرِّم مَا أحلَّ اللَّهُ لَك ..) سورة التحريم .

٤ - (يَا أيُها المُزَّمِل قُمْ اللَّيلَ إلا قَليلاً ..) سورة المزمل .

٥ - (يَا أيُها المُدثِّر قُم فَأَنذِر ..) سورة المدثر .

ومجموع هذه السور في القرآن الكريم عشر سور .

وتحت هذه الاستفتاحات المباركة أسرار عظيمة ، يدرك كثير فيها بالتأمل والتدبر ، فانظر مثلا : أول سورة نزلت بالنداء في القرآن الكريم كانت خطابا للرسول صلي الله عليه وسلم " ياأيها المدثر " وأول سوره بدئت بالنداء في القرآن بعد ترتيب القرآن في المصحف فيها خطاب للناس جميعا في سورة النساء .

والحكمة في ذلك - والله أعلم - أن النداء الأول خاص بالرسول ﷺ كان في بدء نزول الوحي ، حيث لم يكن الإسلام قد انتشر ، وأما النداء الثاني فهو الشامل للناس جميعا لبيان عالمية الإسلام ، وأنه ليس خاصا بأقوام معينين ، وإنما هو للناس جميعا . قال الله تعالي:

(ومَا أرسَلْناكَ إلاَّ كَافةً للِناس بَشِيراً وَنَذِيراً) (١) .

ثم تأمل وجه الاتفاق بين فاتحتي سورتي النساء والحج بـ (ياأيها الناس) وكيف عقب هذا النداء في كل منهما بالأمر بتقوي رب العالمين .

ثم انظر تعليل الأمر بالتقوي في فاتحة سورة النساء بأمر المبدأ وهو

---

(١) سوره سبأ الآية ٢٨ .

الخلق من نفس واحدة ، وتعليل الأمر بالتقوي في فاتحة سورة الحج بأمر المعاد وهو النهاية المحتومة فقال تعالي : (إِنَّ زَلْزَلَة السَّاعةِ شَئٌ عَظِمٌ) .

ونجد تخصيص نصف نداءات الفواتح لسيدنا رسول الله ﷺ وحده وهذا يدل علي احتفاء رب العالمين بنبيه الأعظم ﷺ .

ثم تأمل كيف لم يأت نداء منها باسمه المجرد صلي الله عليه وسلم بل لم يرد ذلك في التنزيل كله بينما خاطب الله تعالي سائر رسله وأنبيائه بأسمائهم فقال تعالي (يَا آدَم أُسْكُنْ أنتَ وَزَوْجُكَ ٱلجَنَّةَ) (١) .

وقال تعالي : (يَانُوح أهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا) (٢) .

وقال تعالي : (يَامُوسَي أَقْبِل ولَاتخَفْ) (٣) .

وقال تعالي : (يَاعيسي إِني مُتَوفِيكَ وَرافِعُكَ إليَّ) (٤) .

وفي ذلك تشريف وتكريم وتفضيل لأحب خلق الله سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلي آله وصحبه أجمعين .

---

(١) سوره البقرة الآية ٣٥ .

(٢) سوره هود الآية ٤٨ .

(٣) سوره القصص الآية ٣١ .

(٤) سوره آل عمران الآية ٥٥ .

النوع الرابع : الإستفتاح بالجمل الخبرية :

وذلك في ثلاث وعشرين سورة وهي :

١ – سورة الأنفال : " يسألونك عن الأنفال .. " .

٢ – سورة التوبة : " براءة من الله ورسوله .. " .

٣ – سورة النحل : " أتي أمر الله فلا تستعجلوه .. " .

٤ – سورة الأنبياء " أقترب للناس حسابهم .. " .

٥ – سورة المؤمنون : " قد أفلح المؤمنون .. " .

٦ – سورة النور : " سورة أنزلناها وفرضناها .. " .

٧ – سورة الزمر : " تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم .. " .

٨ – سورة محمد : " الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم".

٩ – سورة الفتح : " إنا فتحنا لك فتحا مبينا .. " .

١٠ – سورة القمر : " اقتربت الساعة وانشق القمر " .

١١ – سورة الرحمن : " الرحمن . علم القرآن " .

١٢ – سورة المجادلة : " قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها .. " .

١٣ – سورة الحاقة : " الحاقة ماالحاقة " .

١٤ – سورة المعارج : " سأل سائل بعذاب واقع " .

١٥ – سورة نوح : " إنا أرسلنا نوحا إلي قومه " .

١٦ – سورة القيامة : " لاأقسم بيوم القيامة " .

١٧ – سورة عبس : " عبس وتولي " .

١٨ – سورة البلد : " لا أقسم بهذا البلد .

١٩ – سورة القدر : " إنا أنزلناه في ليلة القدر " .

٢٠ – سورة " البينة : " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتي تأتيهم البينة " .

٢١ – سورة القارعة : " القارعة ما القارعة " .

٢٢ – سورة " التكاثر : " ألهاكم التكاثر " .

٢٣ – سورة " الكوثر : إنا أعطيناك الكوثر " .

النوع الخامس : الإستفتاح بالقسم :

السور التي افتتحت بالقسم في القرآن الكريم ، خمس عشرة سورة، وقبل تفصيل الحديث فيها نود أن نشير إلي معني القسم وأنواعه والمقسم به والمقسم عليه وفائدة القسم في القرأن الكريم ولماذا لا يجوز لغير الله تعالي القسم بمخلوقات الله أو القسم بغيره سبحانه وتعالي :

أما القسم ، فقد جاء في لسان العرب أنه :

" اليمين .. والجمع أقسام . وقد أقسم بالله وأستقسمه به وقاسمه : حلف له ، وتقاسم القوم : تحالفوا .. " (١).

والمقسم أيضا بمعني القسم ، أي اليمين ، أما المقسِم : فهو صاحب اليمين ، أي الرجل الحالف .

والقسم أنواع : فهناك قسم ظاهر ، وقسم مضمر .

أما القسم الظاهره : فهو ماصرح فيه بفعل القسم ، وصرح فيه بالمقسم به نحو : (والليل إذا يغشي) إلي قوله تعالي : (إن سعيكم لشتي ..) الآيات ، و(والعاديات ..) إلي قوله : (إن الانسان لربه لكنود) ، و(والعصر إن الانسان لفي خسر) .. الخ .

والقسم المضمر : وهو قسمان :

---

(١) أنظر لسان العرب ٤٨١/١٢ .

قسم دلت عليه اللام نحو قوله تعالي : (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ) [١] .

وقسم دل عليه المعني نحو قوله : (وإن منكم إلا واردها) [٢] وتقديره : والله .

وقد ورد القسم في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، أما السور التي افتتحت به فهي خمس عشرة سورة وكلها تهدف إلي اثبات أحد الأصول الثلاثه : الوحدانية ، والرسالة ، والحشر . وهي التي لايتحقق الإيمان إلا بها .

وقد أقسم سبحانه وتعالي علي الوحدانية مرة واحدة هي التي جاءت جوابا للقسم في سورة الصافات . قال تعالي :

(إِنَّ إلهكم لواحد . رب السموات والارض ومابينهما ورب المشارق) [٣] .

وكان هذا الجواب ردا علي منكري الوحدانية ، الذين يقولون بتعدد الألهة في الوقت الذي يعترفون فيه بأن الله هو الرازق وهو الخالق [٤] .

٢ - أما القسم علي الرسالة والنبوة ، فقد جاء في سورتين :

---

(١) سوره آل عمران الآية ١٨٦ .

(٢) سوره مريم الآية ٧١ .

(٣) سورة الصافات الأيتان ٤ ، ٥ .

(٤) يقول تعالي في ذلك : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) سورة الزمر الآية ٣٨ .
أما عن قولهم بتعدد الألهه فيحكي القران عنهم أنهم كانوا يقولون : (مانعبدهم إلا ليقربونا إلي الله زلفي) سوره الزمر الآية ٣ .

الأولي : سورة (النجم) ، حيث أقسم سبحانه علي إثبات صدق الرسول صلي الله عليه وسلم في قوله تعالي :

(والنَّجْمِ إِذَا هَوي مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم وَمَا غَوي . ومَايَنْطقُ عَن الهَوى ، إن هُو إلا وَحي يُوحي) (١) .

الثانية : سورة (الضحي) ، فقد أقسم سبحانه علي رعايته لنبيه وعدم تركه إياه ، وذلك في قوله تعالي : (وَالضُحي وَالليلُ إِذَا سَجي ، مَا وَدعَك رَبكْ وما قلي) (٢) .

٣ - وأما الحشر " فإمكان يثبت بالعقل ، وأما وقوعه فلايمكن أثباته إلا بالسمع لذا أكثر سبحانه من القسم علي الحشر والجزاء باعتبارهما من الأمور السمعية ليقطع به المكلف ويعتقده اعتقادا جازما .

فائدة القسم في القرآن :

القصد من القسم تحقيق الخبر وتوكيده . " فهو من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشئ في النفس وتقويه .

---

(١) سوره النجم الآيات من ١ – ٤ .

(٢) سوره الضحي الآيات من ١ – ٣ .

وقـد نـزل الـقـرآن الـكـريم للـنـاس كـافـة ، ووقـف الـنـاس مـنـه مـواقـف متبـانـيـة فـمنـهم الـشـاك ومـنـهم المنكر ،ومنـهم الخصم الألد ، فـالـقسم فـي كلام الله يـزيل الشكوك ، ويـحـبـط الـشـبـهـات ، ويـقـيـم الـحـجـة ، ويـؤكـد الأخـبـار ، ويـقـرر الـحكم فـي أكـمل صـورة (١) .

ولذلك نجد الـلـه سبـحـانـه وتعالـي يـقسم بماشـاء مـن مـخـلـوقـاتـه لإزال شك ، أو تـقـريـر حكم ، أو غـيـر ذلك .

فـقـد أقـسـم سـبـحـانـه بـالـنـجـم والـشـجـر ، والـشـمـس والـقـمـر ، والـضـحـي والـلـيـل ، وغـيـرهـا ممـا سـبـق الإشـارة إلـيـه .

وإذا تـسـاءلـنـا : لـم أقـسـم الـلـه بـالخلـق ، وقـد ورد الـنـهـي عـن الـقـسـم بـغـيـر الـلـه وذلك فـيـمـا روي عـن عـمـر بـن الخـطـاب - رضـي الـلـه عـنـه - أن رسـول الـلـه ﷺ قـال :

" مـن حـلـف بـغـيـر الـلـه فـقـد كـفـر أو أشـرك " (٢) .

نجيـب بما أجـاب بـه الـسـيـوطـي ، حـيـث عـلـل ذلك بـعـدة وجـوه :

(أحـدهـا) : إنـه علـي حـذف مـضـاف ، أي : ورب الـتـيـن ، ورب الـشـمـس (٣) وكـذا الـبـاقـي .

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن . ص ٢٩١ .

(٢) أخرجة الترمذي في سننه . كتاب النذور والأيمان . باب ماجاء في كراهية الحلف بغير الله ١٠٩/٤ ، قال أبو عيس : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) وذلك في قوله تعالي : (والتين والزيتون) وقوله : (والشمس وضحاها) .

(الثاني) : إن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن بما يعرفونه .

(الثالث) : أن الإقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم او يجله وهو فوقه ، والله تعالي ليس شئ فوقه ، فأقسم تارة بنفسه ، وتارة بمصنوعاته لأنها تدل علي بارئ وصانع (١) .

ولهذا يمكننا أن نقول : إن لله تعالي أن يقسم بما شاء من خلقه ، وليس لأحد أن يقسم إلا بالله تعالي . فإنه عز وجل : (لايُسئل عمَّا يَفْعَلْ وَهُم يُسْئَلُونَ) (٢) .

والسور التي إفتتحت بالقسم خمس عشرة سورة كلها مكية النزول وهي :

١ - سورة الصافات : (والصافات صفا) والقسم فيها علي وحدانته تعالي .

٢ - سورة الذاريات ذروا) والقسم فيها علي وقوع البعث والجزاء .

٣ - سورة الطور : (والطور وكتاب مسطور) والقسم فيها علي وقوع الجزاء في الآخرة .

---

(١) الإتقان ٢ / ١٧٠.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٣ .

٤ – سورة النجم : (والنجم إذا هوي) والقسم فيها علي تزكيه النبي صلي الله عليه وسلم .

٥ – سورة المرسلات : (والمرسلات عرفا) والقسم فيها علي وقوع الجزاء يوم الفصل .

٦ – سورة النازعات : (والنازعات غرقا) والقسم فيها علي وقوع أحداث البعث .

٧ –سورة البروج : (والسماء ذات البروج) والقسم فيها علي لعن كفار قريش كما لعن أصحاب الأخدود .

٨ – سورة الطارق : (والسماء والطارق) والقسم فيها علي أن لكل نفس حافظا يراقبها ويعد عليها أعمالها ، وذلك ليجتهد كل فرد ويسعي لتحصيل أكبر قور من الأعمال الصالحة .

٩ – سورة الفجر : (والفجر وليال عشر) والقسم فيها علي تعذيب كفار مكه .

١٠ – سورة الشمس : (والشمس وضحاها) والقسم فيها علي فوز الإنسان ونجاته من كل مكروه إذا اتقي الله ، وعلي شقاوته وخسرانه إذا طغي وعصي الله تعالي .

١١ – سورة الليل : (والليل إذا يغشي) والقسم فيها علي أن أعمال العباد شتي وطرقهم مختلفة فليس من أعطي واتقي كمن بخل

واســتــغنـي ، وليس من صَّدق وأمـن كـمن كـذَّب وتولي ، وأن لكل مصيرا ، ولكل جزاءً .

١٢ - سـورة الضحي : (والضحي والليل إذا سجي) والقسم فيها علي جلالة قدر الرسول صلي الله عليه وسلم ، وأن ربه لم يهجره ، ولم يبغضه كما زعم المشركون .

١٣ - سورة التين : (والتين والزيتون وطور سنين . ..) والقس فيها علي خلق الإنسان في أجمل صورة ، مستوي القامة ، متناسب الأعضاء وغير ذلك من الصفات الجميلة وأذا لم يشكر نعمة ربه ، فسيرد إلي أسفل دركات الجحيم .

١٤ - سورة العاديات : (والعاديات ضبحا) والقسم فيها علي أن الإنسان كفور وجاحد ، ومنكر لنعمة الله عليه ، وأن الله علي ذلك شهيد ، وأن الإنسان لشدة حبه للمال بخيل .

١٥ - سورة العصر : (والعصر . إن الإنسان لفي خسر) والقسم فيها علي خسران جميع الناس إلا من كان آتيا بهذه الأشياء الأربعة ، وهي : الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر .

النوع السادس : الإستفتاح بالشرط :

وذلك في سبع سور وهي :

١ – سورة الواقعة : (إذا وقعت الواقعة) افتتحت السورة بما يزلزل الكيان البشري ، والواقعة اسم من أسماء يوم القيامة ، تلك القضية التي ينكرها المنكرون و يكذب بها المكذبون ، ولم يذكر جواب الشرط لأن نتائج هذا اليوم أعظم وأفظع من أن يحيط به اللفظ أو تعبر عنه العبارة .

٢ – سورة المنافقون : (أذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ..) افتتحت السورة بمجئ المنافقون إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم وذكر الجواب للرد علي قولهم ، ولبيان صفتهم وحقيقتهم ، ومايكنون في قلوبهم من الكفر والحقد والكيد للإسلام وللمسلمين في الحقيقة وإظهار الود والحب والإخلاص للإسلام وللمسلمين في الظاهر ، وقد استغرق جواب الشرط بقية السورة.

٣ – سورة التكوير : (إذا الشمس كورت ..) افتتحت السورة بإذا الشرطية وذكر سبحانه اثني عشر شيئا لبيان حقيقة القيامة ومايصاحبها من إنقلاب وتغيير يحدث في ذلك اليوم الرهيب ، ثم ذكر الجزاء المرتب عليها . وهو جواب الشرط فقال : (علمت نفس ما أحضرت) أي : عندما تقع هذه الأحداث ، تعلم كل نفس ما عملته لاستحقاق الجنة أوالنار .

٤ - سورة الإنفطار : (إِذَا السماءُ انفَطَرتْ ..) افتتحت السورة بإذا الشرطية وذكر أربع علامات من أشراط الساعة فإذا وقعت هذه العلامات حصل الحشر والنشر ومايعقبه من حساب وجزاء ، وانقسام الناس إلي فريقين فريق الأبرار ، وفريق الفجار .

٥ - سورة الإنشقاق : (إِذا السَماءُ انشَقَّتْ ..) افتتحت السورة بإذا الشرطية . فإذا استسلمت السماء والأرض لاقي الإنسان كدحه وعرف ماعمل من خير وشر ، فمن أوتي كتابه بيمينه فهو السعيد ، ومن أوتي كتابه بشماله ، فقد غضب الله عليه وكتب له الخسران .

٦ - سورة الزلزلة : (إِذا زُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا) افتتحت السورة بذكر الزلزال العنيف حيث تتحرك الأرض وتضطرب ، ويخرج كل مافي بطنها من موتي وغيرهم ، حينئذ سوف يتساءل كل انسان في دهشة وذعر وخوف شديد مالها ؟ فتشهد علي كل إنسان بما عمل عليها .

٧ - سورة النصر : (إذا جاء نصر الله والفتح ..) افتتحت السورة بإذا تحقق نصر الله وفتحه ، ودخول الناس في دينه أن يتوجه النبي صلي الله عليه وسلم إلي ربه بالتسبيح والحمد والإستغفار.

النوع السابع : الإستفتاح بالأمر :

وذلك في ستة سور وهي :

١ - سورة الجن : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أنه اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِن الجِن ..) افتتحت بأمر من الله تعالي لرسوله صلي الله عليه وسلم أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه .

٢ - سوره العلق : (اِقْرَأْ باسْمِ رَبِكَ الذَّي خَلَقَ ..) ومطلع هذه السورة هو أول مانزل من القرآن ، فقد كانت أول خطوة من خطواته في طريق الدعوة تأمره وتوجهه إلي أن يقرأ باسم الله .

٣ - سورة الكافرون : (قُل يَا أيُها الكَافِرُوُن ..) استهل سبحانه هذه السورة بهذا الأمر الجازم الموجه للنبي صلي الله عليه وسلم لينهي كل مساومة من الكافرين . وهي تفرق نهائيا بين الحق والباطل ، والتوحيد والشرك .

٤ - سورة الإخلاص : (قُل هُو اللّهُ أَحَدُ ..) افتتحت السورة بأمر النبي صلي الله عليه وسلم يخبر قومه بإثبات الوحدانية لله تعالي ، ونفي مالايجوز عليه من الصفات .

٥ - سوره الفلق : (قُل أعوذُ بِرَبِ ٱلفَلَق ..) افتتحت بأمر الله تعالي لنبيه عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين من بعده جميعا ، بالإستعاذة برب الفلق من شر كل ماخلق الله تعالي .

٦ - سورة الناس : (قُل أعوذُ بِربِ النَّاسِ ..) افتتحت هذه السورة بأمر من الله تعالي لنبيه صلي الله عليه وسلم ، وآمته بالاستعاذة به سبحانه من شر الوسواس الخناس ، وهو الشيطان الموكل بالإنسان ، فإنه مامن أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له الفواحش ، وقد يكون هذا الموسوس من الناس ، كما في قوله تعالي : (وَكَذَلك جَعلنَا لِكُلِ نَبِي عَدَواً شَيَاطِينَ الإنسِ وَالجِن) [١] .

(١) سورة الانعام الآية ١١٢ .

النوع الثامن : الاستفتاح بالاستفهام :

السور المفتتحة بأسلوب الاستفهام ست سور وهي :

١ - سورة الإنسان : (هَل أَتَيَ علي الإِنْسَانِ حِينُ مِنَ الدَهْرِ ..) والمقصود من الإستفهام هنا إقرار الإنسان بأن الله تعالي قد أكرمه ، وأفاض عليه بنعمة الوجود ، ثم بين له طريقي الخير والشر ، فمنهم المعترف بهذه النعم ومنهم المنكر الكافر .

٢ - سورة النبأ : (عَمَّ يَتَساءَلوُن ..) افتتح سبحانه السورة بصيغة الإستفهام المشوقة عن يوم القيامة والبعث الجزاء فقد كان كفار مكة يتساءلون فيما بينهم عنه ويخوضون فيه انكاراً واستهزاء ولم يكن القصد من الإستفهام هنا لمعرفة الجواب ، وإنما للتعجب من حالهم وتوجيه النظر إلي غرابة تساؤلهم ، لذلك انتقل سبحانه بعد ذلك إلي التهديد والتخويف فقال : (كَلاَّ سَيَعْلَمُون . ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُون) .

٣ - سورة الغاشية : (هَلْ أَتَاكَ حَديثُ الغَاشِيَة ..) افتتحت السورة بصيغة الإستفهام الذي يوحي بالتفخيم والتهويل وتعجيب السامعين من أمر المشركين الذين ينكرون القيامة التي تغشي الناس بأهوالها .

٤ - سورة الشرح : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ..) افتتحت السورة بالإستفهام التقريري ، حيث دخلت همزة الإستفهام علي النفي فأفاد التقرير بإثبات نعم الله العديدة علي نبيه عليه الصلاة والسلام .

٥ - سورة الفيل : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ..) الإستفهام هنا للتعجب ، وفيه تشويق للمخاطب لمعرفة ماذا فعل الله بأصحاب الفيل وبيان للقدرة الربانية العظيمة في إهلاك الكفرة الطغاة بأن جعل كيدهم في تضليل وأهكلهم بأصغر الطير وأضعفه .

٦ - سورة الماعون : (أرأَيْتَ الَذي يُكَذِّبُ بِالْدِينِ ..) والغرض من الإستفهام هنا هو المبالغة في التعجب ، وتشويق السامع إلي معرفة من هو الذي يكذب بالدين ، فإن أردت أن تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم ، ويقدم علي أيذاء الضعيف .

النوع التاسع : الاستفتاح بالدعاء :

وذلك في ثلاث سور كلها مكية وهي :

١ - سورة المطففين : (وَيلٌ للمُطَفِفِين ..) والدعاء فيها بالهلاك علي المبخسين في الكيل والميزان .

٢ - سورة الهمزة : (وَيلٌ لِكُلِ هُمزَةٍ لُمَزَةٍ ..) والدعاء فيها بالهلاك علي الطعان المغتاب لأعراض الناس .

٣ - سورة المسد : (تَبَّتَ يَدا أَبِي لَهب ٍوَتَبْ ..) والدعاء فيها بالهلاك علي أبي لهب .

النوع العاشر : الاستفتاح بالتعليل :

وذلك في سورة واحدة هي سورة قريش ، وقد افتتح سبحانه هذه بالتعليل فقال : (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ) وذكر بعض العلماء [١] في متعلق اللام في قوله (لإيلاف) عدة وجوه :

فقيل : اللام متعلق بما بعده : (فليعبدوا) ، والمعني : أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين .

وقيل : اللام متعلق بما قبله من قوله تعالي : (فجعلهم كعصف مأكول أي فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش .

وقيل : متعلق بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك أصحاب الفيل لإيلاف قريش ، أو كأن هناك سائل سأل لماذا فعل الله بأصحاب الفيل مافعل ؟ فكانت الإجابة في فاتحة سورة قريش فقال لأجل ألفة قريش وأمنهم .

تلك أنواع الفواتح العشرة كما أوردها الإمامان الزركشي والسيوطي عن أحد علماء التنزيل وهو العلامة أبو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي شارح الشاطبية المتوفي سنه ٦٦٥ هـ ، وقد نظم هذه الأنواع المذكورة في بيتين هما :

---

(١) الزمخشري في كشافه ٢٨٧/٤ ، والرازي في مفاتيح الغيب ١٠٣/٣٢ – ١٠٥ ، وابو السعود في تفسيره ٥٧٨/٥ .

أثني علي نفسه سبحانه يثبو

ت المدح والسلب لما استفتح السورة

والأمر شرط الندا التعليل والقسم

دعا حرف التهجي استفهم الخبرا (١) .

علي أن بعض هذه الأنواع قد يتداخل مع البعض الآخر – كما ذكر أبو شامة فقسم الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر ، وكذا الثناء علي الله سبحانه وتعالي كله خبر إلا (سبح اسم ربك الأعلي) فإنه يدخل أيضا في قسم الأمر ، و (سبحان الذي أسري بعبده) يحتمل الأمر والخبر (٢) .

هذا وقد روعي في فواتح السور جميعا أمران :

أولهما : وهو الأعم منهما – حسن الإبتداء : وقد بينه الإمام السيوطي بقوله : وقال أهل البيان : من البلاغة حسن الإبتداء ، وهو أن يتأنق في أول الكلام ، لأنه أول مايقرع السمع ، فإن كان محرراً أقبل السامع علي الكلام ووعاه ، وإلا أعرض عنه ، ولو كان الباقي في نهاية الحسن فينبغي أن يؤتي فيه بأعذب اللفظ وأجزله وأرقه وأسلسه وأحسنه نظما وسبكا وأصحه معني ، وأوضحه وأخلاه من التعقيد ، والتقديم والتأخير الملبس ، أو الذي لايناسب .

قالوا : وقد أتت جميع فواتح السور علي أحسن الوجوه وأبلغها

---

(١) انظر البرهان ١/١٨١ ، والإتقان ٣/٣١٧ .

(٢) انظر البرهان ١/١٨١ .

وأكملها ، كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء ، وغير ذلك (١) .

وثاني الأمرين : وهو الأخص منهما - ماأطلق عليه : " براعه الإستهلال" وقد عرفه الإمام السيوطي قائلا :

ومن الإبتداء الحسن نوع أخص منه يسمي براعة الإستهلال ، وهو أن يشتمل أول الكلام علي مايناسب الحال المتكلَّم فيه ، ويشير إلي ماسبق الكلام لأجله ، والعلم الأسني في ذلك سورة الفاتحة ، التي هي مطلع القرآن ، فإنها مشتملة علي جميع مقاصده كما قال البيهقي في شعب الإيمان : أخبرنا أبو القاسم بن حبيب ، أنبأنا محمد بن صالح بن هانئ ، أنبأنا الحسين بن الفضل ، حدثنا عفان بن مسلم ، عن الربيع بن صبيح ، عن الحسن ، قال :

أنزل الله مائة وأربعة كتب ، أودع علومها أربعة منها : التوراة ، والإنجيل ، والزبور والفرقان ، ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور ، الفرقان ، ثم أودع علوم القرآن : المفصل ، ثم أودع علوم المفصل : فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة .

وقد وُجّه ذلك : بأن العلوم التي احتوي عليها القرآن قامت بها الأديان أربعة : -

علم الأصول : ومداره علي معرفة الله وصفاته ، وإليه الإشاره بـ"رب العالمين - الرحمن الرحيم " .

---

(١) انظر الإتقان ٣/٣١٧ - ٣١٨ .

ومعرفة النبوات : وإليه الإشارة بـ : " الذين أنعمت عليهم "

ومعرفة المعاد : وإليه الإشارة بـ " مالك يوم الدين "

وعلم العبادات : وإليه الإشارة بـ " إياك نعبد " .

وعلم السلوك : وهو حمل النفس علي الأداب الشرعية والانقياد لرب البرية وإليه الإشارة بـ : " .. إياك نستعين . إهدنا الصراط المستقيم " .

وعلم القصص : وهو الاطلاع علي أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع علي ذلك : سعادة من أطاع الله ، وشقاوة من عصاه ، وإليه الإشارة بقوله : " صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين " .

فنبه في الفاتحة علي جميع مقاصد القرآن ؛ وهذا هو الغاية في براعة الإستهلال مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة ، وأنواع البلاغة (١) .

وهكذا نجد فاتحة السورة القرآنية تدل - في براعة الإستهلال - علي هدفها ، وتحدد المنهج الذي ستسلكه السورة في تحقيق هدفها ومقصودها.

* * * *

---

(١) انظر الإتقان ٢١٨/١ .

المبحث الرابع

فى

﴿ الناسخ والمنسوخ ﴾

أرسل الله تعالي رسله لإصلاح الناس في العقيدة والعبادة والمعاملة واتفقت دعوة الرسل جميعا علي توحيد الألوهية والربوبية قال تعالي (وَماأَرْسلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلا نُوحي إليه أَنَهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَناَ فَاعْبُدُون) (١) .

(لقد أرْسَلْناَ نَوُحاً إلي قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْم أعْبُدوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرُه) (٢) . وقال هود عليه السلام لقومه : (أعبُدُوا اللَّه مَالَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرُه) (٣) ، وقال صالح عليه السلام لقومه : (اعبدوا الله مالكم من إله غيره) (٤) ، وقال شعيب عليه السلام لقومه : (اعبدوا الله مالكم من إله غيره) (٥) ، فالتوحيد أول دعوة الرسل .

أما العبادات والمعاملات فإنها تختلف من أمة إلي أخري ، فما يلائم قوما في عصر قد لايلائمهم في آخر .

وبنزول القرآن الكريم نجوما علي قلب الرسول صلي الله عليه وسلام وتدرجه حسب الحوادث والوقائع ، وبتعيين السابق والمسبوق من

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٥ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٥٩ .

(٣) سورة الأعراف الآية ٦٥ .

(٤) سورة الأعراف الآية ٧٣ .

(٥) سورة الأعراف الآية ٨٥ .

النوازل القرآنية عرفنا حكمة الله تعالي في تربية الخلق ، فالخلق خلقه - يمحو ويثبت مايشاء ويرفع حكما ويبدل آخر ، مراعاة لمصلحة العباد عن علم سابق بالأول والآخر .

وقد أفرده بالتصنيف خلائق لايحصون ، فهم أبو عبيد القاسم بن سلاّم ، وأبو داود السجستاني وأبو جعفر النحاس ، وابن الأنباري ، ومكي ، وابن العربي . وآخرون (١) .

أهمية النسخ :

لمعرفة الناسخ والمنسوخ أهمية كبيرة عند أهل العلم من الفقهاء والأصوليين والمفسرين ، فلا يجوز لأحد أن يقدم علي تفسير كتاب الله ، ولا أن يجلس مجلس القضاء والفتيا إلا أن يحيط به خبراً .

قال الأئمة : لايجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ (٢) ولذلك وردت آثار كثيرة في الحث علي معرفته ، فقد روي أن عليا رضي الله عنه مرَّ علي قاض فقال له : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا ، قال : هلكت وأهلكت (٣) يريد أنه عرض نفسه وعرض الناس للهلاك مادام أنه لايعرف النسخ وهكذا نري تشديد الإمام علي في طلب معرفة الناسخ والمنسوخ لكل من يتصدر القضاء ، يلتقي

---

(١) انظر الإتقان ٣/٥٩ .

(٢) انظر الإتقان ٣/٥٩ .

(٣) المورجع السابق .

مع رأي الأئمة بضرورة العلم بالناسخ والمنسوخ لمن يتصدر لتفسير كتاب الله .

وعن ابن عباس أنه قال في قوله تعالي (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً) (١) فقد فسر الحكمة بمعرفة " ناسخ القرآن ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحرامه وحلاله " (٢) .

كما أن الإلمام بالناسخ والمنسوخ يكشف النقاب عن سير التشريع الإسلامي ، ويطلع الناس علي حكمة الله في تربيته للخلق وسياسته للبشر ، وابتلائه للناس ، ممايدل دلالة واضحة ، علي أن نفس محمد النبي الأمي لايمكن أن تكون المصدر لمثل هذا القرآن ، ولا المنبع لمثل هذا التشريع ، إنما هو تنزيل من حكيم حميد .

تعريف النسخ

النسخ في اللغة : يطلق السنخ في اللغة علي عدة معان منها :

١ - الإزالة : ومنه قول الله تعالي : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِنْ رَسُوُل وَلاَنَبِي إِلاَ إِذَا تَمنيَّ أَلْقَي الشَيطَانُ فِي أُمنِيتِه ، فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَايُلَقي الشَيطانُ ثُمَ يُحْكمُ اللَّه أَيَاتِه) (٣) ومنه قولهم " نسخت الشمس الظل " و " نسخت الريح أثر المشي " .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٩ .

(٢) اخرجه ابن حرير عن ابن عباس .

(٣) سورة الحج الآية ٥٢ .

٢ - ويأتي بمعني التبديل ، كقوله تعالي: (وَإِذَا بَدَّلْنَا آَيةً مكَانَ آَيةٍ) (١).

٣ - وبمعني التحويل ، كتناسخ المواريث بمعني تحويل الميراث من واحد إلي واحد .

٤ - ويأتي أخيرا بمعني النقل . ومنه : " نسخت الكتاب " إذا نقلت مافيه حاكيا للفظه وخطه .

وقد أنكر مكيُ (٢) هذا الوجه الأخير وأنكر علي النحاس إجازته ذلك "مجتجاً بأن الناسخ فيه لايأتي بلفظ المنسوخ ، وأنه إنما يأتي بلفظ آخر" (٣) . لكن السعدي (٤) احتج لما قاله النحاس بقوله تعالي : (إنا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون) (٥) أي إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم " قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره تكتب الملائكة أعمال العباد ثم تصعد بها إلي السماء فيقابلون الملائكة الذين في ديوان الأعمال علي مابأيدي الكتبه مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر مما كتبة الله في القدم علي العباد قبل أن يخلقهم فلايزيد حرفا ولاينقص حرفا " (٦) .

---

(١) سوره النحل الآية ١٠١ .

(٢) هو مكي بن ابي طالب حموش بن محمد بن مختار يكني ابا محمد واصله من القيروان ، له كتاب في الناسخ والمنسوخ ، سكن قرطبه ورحل إلي مصرمرتين وتوي سنه ٤٣٧ هـ .

(٣) انظر الإتقان ٣/٥٩ .

(٤) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن بركات السعدي له كتاب : " الإيجاز في معرفة مافي القرآن من منسوخ وناسخ .

(٥) سورة الجاثية الآية ٢٩ .

(٦) تفسير ابن كثير ٣ /١٥٤ - ١٥٥ .

<u>النسخ في الإصطلاح</u> : رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي .

ومعني رفع الحكم الشرعي : قطع تعلقه بأفعال المكلفين .

والحكم الشرعي : هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين إما علي سبيل الطلب أو الكف أو التخيير وهذا هو الحكم التكليفي .

و(رفع) جنس في التعريف ، خرج عنه ماليس برفع ، كالتخصيص فإنه لايرفع الحكم وإنما يقصره علي بعض أفراده .

و(الحكم الشرعي) قيد أول ، خرج به ابتداء أيجاب العبادات في الشرع ، فإنه يرفع حكم العقل ببراءة الذمة ، وذلك كإيجاب الصلاة فإنه رافع لبراءة ذمة الإنسان منها قبل ورود الشرع بها ، ومع ذلك لايقال له نسخ .

و (بدليل شرعي) قيد ثان ، خرج به رفع حكم شرعي بدليل عقلي ، وذلك كسقوط التكليف عن الإنسان بموته أو جنونه أو غفلته ، فإن سقوط التكليف عنه بأحد هذه الأسباب يدل عليه العقل .

كما أن الإضافة في كلمة " رفع الحكم الشرعي " من قبيل إضافة المصدر لمفعوله ، والفاعل مضمر وهو الله تعالي ، وذلك يرشد إلي أن الناسخ في الحقيقة هو الله ، كما يدل عليه قوله سبحانه " مانَنسخ من آية أو ننسها " ويرشد أيضا إلي أن المنسوخ في الحقيقة هو الحكم المرتفع ، وقد يطلق الناسخ علي الحكم الرافع فيقال : وجوب صوم رمضان نسخ وجوب صوم عاشوراء ، وقد يطلق النسخ علي دليله كذلك ، فيقال : آية المواريث نسخت آية الوصية للوالدين والأقربين (١) .

(١) انظر مناهل العرفان ٧٥/٢ .

ومن الواضح أن تعريف النسخ اصطلاحا بقولهم : " رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي " أدق تعريف اصطلاحي لهذه اللفظة ، حيث يتناسق في آن واحد مع التعريف اللغوي الذي يرى النسخ بمعني الإزالة .

شروط النسخ :

١ - أن يكون الحكم المنسوخ شرعيا .

٢ - أن يكون الدليل علي ارتفاع الحكم خطابا شرعيا متراخيا عن الخطاب المنسوخ حكمه .

٣ - وألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيدا بوقت معين ، وإلا فالحكم ينتهي بانتهاء وقته ولايعد هذا نسخا .

٤ - أن يكون بين ذينك الدليلين تعارض حقيقي .

تلك أربعة لابد منها لتحقق النسخ باتفاق جمهرة الباحثين ، وثمة شروط اختلفوا في شرطيتها ، منها أن يكون ناسخ القرآن قرآنا وناسخ السنة سنة . ومنها كون النسخ مشتملا علي بدل للحكم المنسوخ ، ومنها كون الناسخ مقابلا للمنسوخ مقابلة الأمر للنهي والمضيق للموسع . ومنها كون الناسخ والمنسوخ نصين قاطعين (١).

---

(١) المرجع السابق ٢/٧٦ .

النسخ بين مثبتية ومنكريه

يذهب أهل الأديان مذاهب أربعة في النسخ :

أولها : اليهود : وهؤلاء ينكرونه ، فيقولون : لوجاز علي الله تعالي أن يسنخ حكما من أحكامه ، لكان ذلك إما لحكمة ظهرت له كانت خافية عليه ، وإما لغير حكمة ، وكل هذين باطل .

أما الأول فلأنه يستلزم تجويز البداء والجهل بالعواقب علي علام الغيوب وأما الثاني فلأنه يستلزم تجويز العبث علي الحكيم العليم اللطيف الخبير ، والبداء العبث مستحيلان عليه سبحانه بالأدلة العقلية والنقلية .

وقد رد عليهم الشيخ الزرقاني (١) فقال : " إن نسخ الله تعالي ماشاء من أحكامه ، مبني علي حكمة كانت معلومة له أولا ، ظاهرة لم تخف عليه ولن تخفي عليه أبدا ، غايه الأمر أن مصالح العباد تتجدد بتجدد الأزمان ، وتختلف باختلاف الأشخاص والأحوال ، وأسراره وحكمه سبحانه لاتتناهي ، ولايحيط بها سواه ، فإذا نسخ حكما بحكم ، لم يخل هذا الحكم الثاني من حكمة جديدة غير حكمة الحكم الأول فيها مصلحة جديدة للعباد وإذن فلايستلزم نسخ الله لأحكامه بداء ولاعبثا .

---

(١) في مناهل العرفان ٢/٩٤ .

وقال : ولكن هؤلاء الجاحدين غفلوا أو تغافلوا عن هذا ، حتي جاء الترديد في شبهتهم ناقصا لم يستوف وجوه الاحتمالات كما تري ولو استوفوه لقالوا : النسخ إما أن يكون لحكمة ظهرت لله تعالي كانت خافية عليه ، أو لحكمة كانت معلومة له لم تكن خافية عليه ، أو لغير حكمة . وأكبر الظن أنهم لم يفطنوا إلي هذا ، ولو فطنوا له ما اشتبهوا ولو اشتبهوا بعد فطنتهم له لاخترنا الشق الثاني من هذا الترويد .

ثانيها : الروافض : فهؤلاء أثبتوا النسخ ثم أسرفوا في إثبات هذا البداء اللازم له في زعمهم ونسبوه إلي الله في صراحة ووقاحه منها ماتمسحوا به في أمرين :

الأول : قوله سبحانه (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)

والجواب : أنه لامستند لهم في الأية الكريمة ، بل هي ترد عليهم .

ومعناها أن الله يغير ماشاء من شرائعه وخلقه ، علي وفق علمه وإرادته وحكمته ، وعلمه سبحانه لايتغير ولايتبدل ، إنما التغير في المعلوم لافي العلم ، بدليل قوله : (وعنده أم الكتاب) أي وعنده المرجع الثابت الذي لامحو فيه ولاإثبات ، وإنما يقع المحو والإثبات علي وفقه ، فيمحو سبحانه شريعة ويثبت مكانها أخري ، ويمحو حكما ويثبت أخر ، ويمحو مرضا ويثبت صحة ، ويمحو فقرا ويثبت غني ، ويمحو حياة ويثبت موتا . وهكذا تعمل يد الله في خلقه وتشريعاته تغييراً وتبديلا ، وهو الحق وحده لايعروه تغيير ولاتبديل ، ولايتطرق إلي علمه محو ولا إثبات .

الأمر الثاني : أنهم تشبثوا بآثار نسبوها إلي أئمة طاهرين منها أن عليا - كرم الله وجهه - كان يقول : " لولا البداء لحدثتكم بماهو كائن إلي يوم القامة " ومنها أن جعفر الصادق رضي الله عنه قال " مابدا الله تعالي في شئ كما بدا له في إسماعيل " .

وندفع هذا : بأنها مفتريات وأكاذيب ، كان أول من حاك شباكها الكذاب الثقفي الذي كان ينتحل لنفسه العصمة وعلم الغيب ، فإذا مافتضح أمره وكذبته الأيام قال : " إن الله وعدني ذلك غير أنه بداله " ، فإذا أوجس في نفسه خيفة من أن يؤاخذه الناس وينتقموا منه علي هذا الكفر الشنيع ، نسب تلك الكفريات إلي أعلام بيت النبوة وهم منها براء.

أما عقليا فإن ذلك مستحيل علي الله تعالي لما يلزمه من سبق الجهل وحدوث العلم ، والجهل والحدوث عليه محالان ، لأن النظر الصحيح في هذا العالم ، دلنا علي أن خالقه ومدبره ، متصف أزلا وأبداً بالعلم الواسع المطلق المحيط بكل ماكان وماسيكون وماهو كائن كما هدانا هذا النظر الصحيح إلي أنه تعالي لايمكن أن يكون حادثا ولامحلا للحوادث ، وإلا لكان ناقصا يعجز عن أن يبدع هذا الكون ويدبره هذا التدبير المعجز ، هذا الدليل العقلي .

أما أدلة النقل فكلها ناطقة بأن الله تعالي أحاط بكل شئ علما منها قوله تعالي : (ماأصاب من مصيبة في الأرض ولاني في أنفسكم إلا في

كتاب من قبل أن نبرأها) [١] . (وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافي البر والبحر ، وماتسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولاحبة في ظلمات الأرض ولارطب ولايابس إلا في كتاب مبين) [٢] .

ثالثها : العنانية وهي الطائفة الثالثة من طوائف اليهود وهم يجوزون النسخ عقلا ويمنعون وقوعه شرعا . ويعزي هذا الرأي أيضا إلي أبي مسلم الأصفهاني [٣] من المسلمين ، ولكن علي اضطراب في النقل عنه وعلي تأويل يجعل خلافه لجمهرة المسلمين شبيها بالخلاف اللفظي .

شبهة العنانية :

يقولون : إن التوراة التي أنزلها الله علي موسي ، لم تزل محفوظة لدينا ، منقولة بالتواتر فيما بيننا ، وقد جاء فيها : " هذه شريعة مؤبدة مادامت السموات والأرض " وجاء فيها أيضا : " الزموا يوم السبت أبدا " . وذلك يفيد امتناع النسخ ، لأن نسخ شئ من أحكام التوراة لاسيما تعظيم يوم السبت ، إبطال لما هو من عنده تعالي .

وندفع هذه الشبهة بوجوه :

---

(١) سورة الحديد الآية ٢٢ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٥٩ .

(٣) هو محمد بن بحر ، المشهور بابي مسلم الاصفهاني ، معتزلي من كبار المفسرين توفي سنه ٣٢٢هـ اهم كتبه " جامع التأويل في التفسير .

(أولها) أن شبهتهم هذه أقصر من مدعاهم قصوراً بينا ، لأن قصاري ماتقتضيه - إن سلمت - هو امتناع نسخ شريعة موسي عليه السلام بشريعة أخري : أما تناسخ شرائع سواها ، فلا تدل هذه الشبهة علي امتناعه بل يبعد أن ينكر اليهود انتساخ شرائع الإسرائيليين قبل اليهودية بشريعة موسي .

(ثانيهما) أنا لانسلم لهم مازعموه من أن التوراه لم تزل محفوظة في أيديهم حتي يصح استدلالهم بها . بل الأمة متضافرة علي أن التوراة الصحيحة لم يعد لها وجود ، وأنه أصابها من التغيير والتبديل ماجعلها في خبر كان .

من تلك الأدلة أن نسخة التوراة التي بأيدي السامريين تزيد في عمر الدنيا نحواً من ألف سنة علي ماجاء في نسخة العنانيين وأن نسخة النصاري تزيد ألفا وثلاثمائة سنة .

ومنها أن الله ندم علي إرسال الطوفان إلي العالم ، وأنه بُكي حتي رمدت عيناه ، وأن يعقوب صارعه ! جل الله عن ذلك كله .

ومنها أن لوطا شرب الخمر حتي ثمل وزني بإبنتيه ! .

ومن ذلك أن هارون هو الذي اتخذ العجل لبني اسرائيل ودعاهم إلي عبادته من دون الله .

ومن الأدلة أيضا علي فساد دعوي بقاء التوراة وحفظها ، ماثبت بالتواتر عند المؤرخين بل عند اليهود أنفسهم ، من أن بني اسرائيل ،

وهم حملة التوارة وحفاظها . قد ارتدوا عن الدين مرات كثيرة ، وعبدوا الأصنام ، وقتلوا أنبيائهم شرتقتيل . ولاريب أن هذه مطاعن شنيعه جارحة ، لاتبقي لأي واحد منهم أي نصيب من عدالة أو ثقة .

(ثالثهما) أن هذا التواتر الذي خلعوه علي التوراة لايسلم لهم أيضا لأنها لوكانت متواترة لحاجوا بها أفضل الرسل سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم ولعارضوا دعواه عموم رسالته بقول التوراة التي يؤمن بها ولايجحدها ، بل يجهر بأنه جاء مصدقا لها ؛ ويدعو المسلمين أنفسهم إلي الإيمان بها ، ولكن ذلك لم يكن ، ولو كان لنُقل واشتهر بل الذي نُقل واشتهر هو أن كثيرا من أحبار اليهود وعلمائهم كعبد الله بن سلام وأضرابه ، قد ألقوا القياد لرسول الله مؤمنين ودانوا لشريعته مسلمين واعترفوا بأنه الرسول الذي بشرت به التوراة والإنجيل .

(رابعها) أن لفظ التأبيد الذي اعتمدوا عليه فيما نقلوه ، لايصلح حجة لهم ، لأنه يستعمل كثيرا عند اليهود معدولا به عن حقيقته من ذلك ماجاء في سورة البقرة التي أمروا بذبحها : " هذه سنة لكم أبداً " وماجاء في القربان :" قربوا كل يوم خروفين قربانا دائما " مع أن هذين الحكمين منسوخان باعتراف اليهود أنفسهم علي رغم التصريح فيهما بما يفيد التأبيد كما تري (١) .

أما بالنسبة لأبي مسلم الأصفهاني فلم يبطل النسخ جملة وتفصيلا ،

---

(١) انظر مناهل العرفان ٢/٩٨ - ١٠٠ .

وإنما أبطل منه ضروبا ظنها تتعارض مع قوله تعالي : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [١] . وشبهته في هذا الإستدلال أن هذه الآية تفيد أن أحكام القرآن لاتبطل أبداً والنسخ فيه إبطال لحكم سابق . فآثر أن يسمي النسخ باسم التخصيص تجنبا لإبطال حكم قرآني أنزله الله .

ولكن العلماء تصدوا لأبي مسلم وأضرابه يفرقون لهم بين النسخ والتخصيص : فتعريف التخصيص هو " قصر العام علي بعض أفراده " وليس في هذا القصر رفع حقيقي للحكم عن بعض الأفراد ، لأن تناوله بضع الأفراد فقط إنما يكون علي سبيل المجاز ، فلفظ العام موضوع أصلا لكل الأفراد ، ولم يقصر عن بعضها إلا بقرينة التخصيص .

أما النسخ فيظل النص المنسوخ فيه مستعملا فيما وضع له ، ويظل متناولا جميع الأزمان ، إلا أن حكمه الشامل يستمر إلي وقت معين ثم لايبطله إلا الناسخ لحكمة يعلمها الله [٢] .

- يراعى في التخصيص قرينة سابقة أو لاحقة أو مقارنة ، أما النسخ فلايقع إلا بدليل متراخ عن المنسوخ .

- أن التخصيص يكون في الأخبار وغيرها ، أما النسخ فلايقع إلا في الأمر والنهي .

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٢ .

(٢) انظر مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص ٢٦٢ - ٢٦٣ نقلا عن الشيخ الزرقاني باختصار .

- أن النسخ يبطل حجية المنسوخ إذا كان رافعا للحكم بالنسبة إلي جميع أفراد العام . أما التخصيص فلايبطل حجية العام أبداً بل العمل به قائم فيمابقي من أفراده بعد تخصيصه .

- أن النسخ لايكون إلا بالكتاب والسنة ، بخلاف التخصيص فإنه يكون بهما وغيرهما كدليل الحس والعقل ، هذا قول الله سبحانه : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) قد خصصه قوله صلي الله عليه وسلم " لاقطع إلا في ربع دينار " وهذا قوله سبحانه : (تدمر كل شئ بأمر ربها) قد خصصه ماشهد به الحس من سلامة السماء والأرض ، وعدم تدمير الريح لها (١) .

أما المذهب الرابع : فهو مذهب جمهور العلماء ، يقولون بجواز النسخ عقلا ووقوعه سمعاً لأدلة :

١ - لأن أفعال الله لاتعلل بالأغراض ، ولايجب علي الله تعالي لعباده شئ ، بل هو سبحانه الفاعل المختار والكبير المتعال ، وله بناء علي اختياره ومشيئته ، أن يأمر عباده بما شاء ، وينها هم عما شاء وأن ينسخ ماشاء لامعقب لحكمه ، ولاراد لقضائه ولاملزم يلزمه برعاية مصالح عباده في تشريعه ، وإن كان تشريعه لايخلو من حكمة ، وكل ماكان كذلك لامحظور فيه عقلا .

٢ - أدلة وقوعه سمعا : إن الأدلة علي وقوع النسخ نوعان : أحدهما

(١) مناهل العرفان ٨١/٢ - ٨٢ بتصرف .

تقوم به الحجة علي منكري النسخ من اليهود والنصاري ، من غير توقف علي إثبات نبوة الرسول لهم . والآخر تقوم به الحجة علي من آمن بنبوته صلي الله عليه وسلم كأبي مسلم الأصفهاني من المسلمين ، وذلك بسرد أدلة من الكتاب والسنة .

النوع الأول :

أما النوع الأول فآحاده كثيرة ، تفيض بها كتبهم الدينية ونحن نجتزئ منها بمايلي ، إلزاما لهم ، وإن كنا لانؤمن بكل ما آمنوا به .

١ - جاء في السفر الأول من التوراة أن الله تعالي قال لنوح عند خروجه من السفينة : " إني جعلت كل دابة حية مأكلا لك ولذرتيك وأطلقت ذلك لكم كنبات العشب ، ماخلا الدم فلا تأكلوه " ثم اعترفوا بعد ذلك بأن الله حرم كثيرا من الدواب علي أصحاب الشرائع من بعد نوح ، ومنهم موسي نفسه ، كما جاء في السفر الثالث من توراتهم .

٢ - جاء في التوراة أن الله تعالي أمر آدم أن يزوج بناته من بنيه وورد أنه كان يولد له في كل بطن من البطون ذكر وأنثي ، فكان يزوج توأمه هذا ، للآخر ، ويزوج توأمه الآخر لهذا ، وهكذا ، إقامة لاختلاف البطون مقام أختلاف الآباء والأمهات والأنساب ، ثم حرم الله ذلك بإجماع المتدينين من المسلمين واليهود والنصاري وغيرهم .

٣ - أن الله تعالي أمر ابراهيم عليه السلام بذبح ولده ، ثم قال له :

لاتذبحه ، وقد اعترف منكروا النسخ بذلك .

٤ - أن الجمع بين الأختين كان مباحا في شريعة يعقوب ، ثم حرم في شريعة موسي عليهما الصلاة والسلام .

٥ - أن الطلاق كان مشروعا في شريعة موسي ، ثم جاءت شريعة عيسي فحرمته إلا إذا ثبت الزني علي الزوجة .

النوع الثاني :

أما النوع الثاني مايأتي :

١ - قوله تعالي : (ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) (١) .

٢ - قوله تعالي : (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (٢) .

وهاتان الآيتان نزلتا ردا علي طعن الطاعنين علي الإسلام ونبي الإسلام بوقوع النسخ في الشريعة الإسلامية .

٣ - قوله تعالي : (وإذا بدلنا آية مكان آية - والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون) (٣) . ووجه الدلالة في هذه الآية أن التبديل يتألف من رفع لأصل وإثبات لبدل ، وذلك هو النسخ ، سواء أكان المرفوع تلاوة أم حكما .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٠٦ .

(٢) سوره الرعد الآية ٣٩ .

(٣) سورة النحل الاية ١٠١ .

٤ - قوله تعالي : (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) (١) ، يفهم منها أن الحكم الأول كان حكما شرعيا لابراءة أصلية.

٥ - أن سلف الأمة اجمعوا علي أن النسخ وقع في الشريعة الإسلامية كما وقع بها .

٦ - أن في القرآن الكريم آيات كثيرة نسخت أحكامها .

وهذا دليل في طيه أدلة متعددة ، لأن كل آية من هذه الأيات المنسوخة ، تعتبر مع ناسخها دليلا كاملا علي وقوع النسخ (٢) .

أقسام النسخ

النسخ أربعة أقسام :

القسم الاول :

نسخ القرآن بالقرآن : وهذا القسم متفق علي جوازه ووقوعه من القائلين بالنسخ . وهذا القسم ينقسم إلي أنواع ثلاثة :

النوع الأول : نسخ التلاوة والحكم معاً ، ومثاله : ماروواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : "فيما أنزل عشر رضعات معلومات يحرمن فنسخن بخمس معلومات "فتوفي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهن

---

(١) سورة النساء الآية ١٦٠ .

(٢) انظر مناهل العرفان ٨٣/٢ - ٨٩ باختصار .

ممن يقرأ من القرآن " .

قال السيوطي : " وقد تكلم العلماء في قولها " وهن ممن يقرأ من القرآن" فإن ظاهره بقاء التلاوة ، وليس كذلك .

وأجيب بأن المراد : قارب الوفاة ، أو أن التلاوة نسخت أيضا ، ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله صلي الل عليه وسلم فتوفي وبعض الناس يقرؤها " (١) .

والمنسوخ هنا قسمان : الأول منه نسخت تلاوته وحكمه ، وهو قوله : " عشر رضعات معلومات يحرمن " ، والثاني منه نسخت تلاوته دون حكمه ، وعليه مذهب الشافعي رضوان الله عليه ، مستدلا بهذه الآية المنسوخة التلاوة ، دون الحكم ، وعمل الشافعي به دليل حي عملي علي نزول هذه الآية ونسخها (٢) .

النوع الثاني : نسخ الحكم وبقاء التلاوة ، وهذا النوع هو الذي ألفت فيه الكتب وذكر المؤلفون فيه الآيات المتعددة يقول السيوطي في الإتقان : " وهو علي الحقيقة قليل جداً ، وإن أكثر الناس من تعددات الآيات فيه فإن المحققين منهم كالقاضي أبي بكر بن العربي بين ذلك وأتقنه ، والذي أقوله : إن الذي أورده المكثرون أقسام :

قسم ليس من النسخ في شئ ولامن التخصيص ولا له بهما علاقة

---

(١) انظر الإتقان ٦٣/٣ .

(٢) مادبة الله للدكتور الحسيني أبو فرحه ص ٣٥٠ .

بوجه من الوجوه . وذلك مثل قوله تعالي : (ومما رزقناهم ينفقون) [١] ، و (أنفقوا مما رزقناكم) [٢] ونحو ذلك ، قالوا : إنه منسوخ بآية الزكاة ، وليس كذلك بل هو باق ، أما الأولي فإنها خبر في معرض الثناء عليهم بالإنفاق وذلك يصلح أن يفسر بالزكاة وبالإنفاق علي الأهل ، وبالإنفاق في الأمور المندوبة كالإعانة والإضافة ، وليس في الآية مايدل علي أنها نفقة واجبة غير الزكاه أي حتي تنسخ بالزكاة ، والآية الثانية يصلح حملها علي الزكاة وقد فسرت بذلك .

وقسم هو من المخصوص لا المنسوخ ، كقوله تعالي : (إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا) [٣] ، وقوله : (والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالايفعلون إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ..) [٤] ، وقوله : (فاعفوا واصفحوا حتي يأتي الله بأمره) [٥] إلي غير ذلك من الآيات التي خصت باستثناء أو غاية ، وقد أخطأ من أدخلها في المنسوخ .

ذلك أن النسخ هو رفع حكم شرعي متقدم بدليل شرعي متأخر وقسم رفع ماكان عليه الأمر في الجاهلية ، أو في شرائع من قبلنا ، أو في أول الإسلام ولم ينزل في القرآن ، كإبطال نكاح نساء الآباء [٦] ، ومشروعية

(١) سوره الأنفال الآية ٣ .
(٢) سوره البقره الآية ٢٥٤ .
(٣) سوره العصر الآيتان ٢ ،٣ .
(٤) سوره الشعراء الآيات من ٢٢٤ – ٢٢٧ .
(٥) سوره البقرة الآية ١٠٩ .
(٦) كما في قوله تعالي (ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء إلا ماقد سلف) الآية من سورة النساء .

القصاص (١) والدَّءه (٢) وحصر الطلاق في الثلاث (٣) " (٤) .

ومن أمثلة هذا النوع الثاني من النسخ : وهو مانسخ حكما لاتلاوة :

كقوله تعالي : (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلي نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلي الليل) (٥) فإنه ناسخ لقوله : (كما كتب علي الذين من قبلكم) (٦) لأن مقتضي ذلك الموافقة فيما كان عليهم ، من تحريم الأكل والوطء بعد النوم.

ومنها آية تقديم الصدقة أمام مناجاة الرسول صلي الله عليه وسلم ، وهي قوله تعالي (ياأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) (٧) منسوخه بقوله سبحانه (أأشفقتم أن تقدموا بين

---

(١) كقوله تعالي : (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلي الحريا لحر ، والعبد بالعبد ، والأنثي بالأنثي) الآية من سوره البقرة ، وقد صرح ابن سلامه في (الناسخ والمنسوخ) ص ٤٩ بأن هذه الآية نسخت بعض عادات الجاهليين الذين كانوا لايرضون ان يقتلوا بالعبد منهم إلا الحر ، وبالمراة منهم إلا الرجل، فسوي الله بينهما في أحكام القصاص .

(٢) كقوله تعالي : (فدية مسلمة إلي أهله وتحرير رقبة مؤمنة) الآية من سوره النساء .

(٣) في قوله تعالي : (الطلاق مرتان ، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) الآية من سورة البقرة ، ومن عجيب أمر المفسرين انهم جعلوا هذه الآيات ناسخة لما كان عليه الأمر في الجاهليه وقد رجح المحققون من العلماء إخراج هذا كله من عداد الناسخ ، ووجهوه بأن ذلك لوعُدّ فيه لعُد جميع القرآن منه ، إذ كله أو أكثره رافع لما كان عليه الكفار وأهل الكتاب ، وإنما حق الناسخ والمنسوخ أن تكون آية نسخت حكم آية .

(٤) انظر الإتقان ٣ / ٦٣ ، ٦٤ بتصرف .

(٥) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

(٦) سورة البقرة الآية ١٨٣ .

(٧) سورة المجادلة الآية ١٢ .

يدي نجواكم صدقات فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله) [١] علي معني أن حكم الآية الأولي منسوخ بحكم الآية الثانية مع بقاء تلاوتهما .

ومنها أن قوله تعالي : (وعلي الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) [٢] منسوخ بقوله سبحانه : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) علي معني أن حكم تلك منسوخ بحكم هذه مع بقاء التلاوة في كلتيهما .

هذا وقد ذكر المؤلفون آيات كثيرة في هذا النوع من النسخ ، والتحقيق أنها قليلة . فقد حصر السيوطي هذا النوع من المنسوخ في إحدي وعشرين آية [٣] ، علي خلاف في بعضها ، ثم استثني منها آيتي الإستئذان والقسمة [٤] ، فذكر أن الأصح فيها الإحكام لا النسخ . فصارت الآيات المنسوخة في نظره ، لاتزيد علي تسع عشرة آية ، ثم ضم إليها قوله تعالي : (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) [٥] علي رأي ابن عباس أنها منسوخة بقوله تعالي : (فول وجهك شطر المسجد الحرام ..) [٦] الآية فتمت عشرون [٧] .

---

(١) سورة المجادلة الآية ١٣ .
(٢) سورة البقرة الآية ١٨٤ .
(٣) انظر الإتقان ٣/٦٥ - ٦٨ فقد ذكر السيوطي هنا جميع هذه الآيات .
(٤) يراد بآية الإستئذان قوله تعالي : (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث عورات) وهي آية لاريب في إحكامها . أما آية القسمة فهي قوله تعالي (وإذا حضر القسمة أولو القربي واليتامي والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا) فقد قيل : إنها منسوخه بآية المواريث والصحيح أنها ليست منسوخة ، وحكمها باق علي الندب والترغيب في فعل الخير .
(٥) سورة البقرة الآية ١١٥ .
(٦) سورة البقرة الآية ١٤٤ .
(٧) الإتقان ٣/٦٨ بتصرف .

وقد يقال ماالحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة ؟

والجواب من وجهين :

أحدهما : أن القرآن كمايتلي ليعرف الحكم منه ، والعمل به ، فإنه يتلي كذلك لكونه كلام الله تعالي فيثاب عليه ، فتركت التلاوة لهذه الحكمة .

وثانيهما : أن النسخ غالبا يكون للتخفيف ، فأبقيت التلاوة تذكيرا بالنعمة في رفع المشقة ، ومن أمثلة ذلك ماورد من أن رجلا من الأنصار ، جاء إلي النبي صلي الله عليه وسلم عشية ، وقد أجهده الصوم ، فسأله الرسول عن سبب ضعفه فقال : يارسول الله عملت في النخل نهاري أجمع ، حتي أمسيت ، فأتيت أهلي لتطعمني شيئا ، فأبطأت فنمت ، فأيقظوني وقد حرم الأكل .

أي بسبب النوم . فلو قارنا هذا التيسير في الآية الناسخة حيث أبيح الأكل والشرب وغيرهما إلي طلوع الفجر ، فلا يؤثر النوم قبل الفجر في تحريم الأكل والشرب وغيرهما إلي طلوع الفجر ، لو قارنا هذا التيسير في الآية الناسخة بما كان عليه الأمر قبل النسخ ، لرأينا فضل الله علينا عظيماً .

النوع الثالث : نسخ التلاوة مع بقاء الحكم ، ويدل علي وقوعه ماصحت روايته عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب أنهما قالا : كان فيما أنزل من القرآن " الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة ، نكالا من الله والله

عـزيز حكيم " وكـمـا هو مـعلوم أن هذه الآيـة لم يعد لهـا وجـود بـين دفـتي المصحف ولاعلي ألسنـة القراء ، ومع ذلك فإن الرجم للزاني المحصن ثابت في الفـقـه الإسـلامي وعليـه العـمل في الأمـة الإسـلامـيـة ، وكـان عـمـر بن الخطاب كثير التذكير بهذا الحكم الإسلامي خشية ضياعه ، بنسخ تلاوة آيتـه .

القسم الثاني : نسخ القرآن بالسنة وينقسم إلي نوعين :

أ – نسخ القـرآن بالسنـة الآحـادية ، والجـمـهـور علي عـدم جـوازه لأن القـرآن مـتـواتر يفـيـد اليـقـين ، والأحـادي مظنـون ، ولايصـح رفـع المعلوم بالمظنـون .

ب – نسخ القـرآن بالسنـة المتـواتـرة ، وقـد أجازه مـالك وأبو حنيـفـة وأحمد في رواية ، لأن الكل وحي من الله كما أن القران كذلك قال تعالي: (ومـا ينطـق عن الهـوى . إن هو إلا وحي يوحي) (١) وقـال : (وأنزلنـا أليك الذكـر لتـبين للنـاس مـانزل إليـهم) (٢) وهـذه الآيـة تـدل عـلـي أن السـنـة مـبـينـة للقـرآن ، وذلك لاينـفـي أن تكون نـاسـخـة لـه ومـنـعـه الشـافـعي وأهل الظاهر وأحـمـد في الرواية الأخـري ، لقـولـه تعـالي : (مـاننسـخ من آية أو ننسهـا نأت بخـيـر منهـا أو مـثلهـا) (٣) ، والسـنـة ليـست خـيـرا من القـرآن ولامـثلـه . أيضـا فـإن قـولـه تـعـالي : (نـأت) يفـيـد أن الآتـي هـو الله ، والسـنـة

(١) سورة النجم الآيتان ٣ ، ٤ .

(٢) سورة النحل الآية ٤٤ .

(٣) سورة البقره الآية ١٠٦ .

لم يأت بها الله ، إنما الذي أتي بها رسوله .

ودليلهم هذا مدفوع بأن النسخ في الآية الكريمة أعم من أن يكون في الأحكام أو في التلاوة ، والمثلية أعم من أن يكونا في المصلحة أو في الثواب ، وإذن فقد تكون السنة الناسخة خيرا من القرآن المنسوخ من هذه الناحية ، وإن كان القرآن خيرا من السنة من ناحية امتيازه بخصائصه العليا دائما .

أما بالنسبة لقوله " نأت " والتي تفيد بأن الآتي هو الله يرد عليه بأن السنة أيضا وحي من الله ، وما الرسول إلا مبلغ ومعبر عنها فقط بالآتي بها علي الحقيقة هو الله وحده قال تعالي : (وماينطق عن الهوي إن هو إلا وحي يوحي) .

هل وقع نسخ للقرآن بالسنة ؟

ماسبق كان في جواز نسخ القرآن بالسنه عقلا وشرعا أما بالنسبة للوقوع فقد اختلف المجوزون فيه : منهم من أثبته ومنهم من نفاه .

استدل المثبتون علي الوقوع بأدلة منها :

الأول : أن آية الجلد وهي : (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) تشمل المحصنين وغيرهم من الزناة . ثم جاءت السنة فنسخت عمومها بالنسبة إلي المحصنين ، وحكمت بأن جزاءهم الرجم .

وقد فند النافون هذا الدليل بأمرين :

أحدهما : أن الذي ذكروه تخصيص لانسخ .

والآخر : أن آية (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) هي المخرجة لصور التخصيص . وإن جاءت السنة موافقة لها .

الدليل الثاني : أن قوله (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا علي المتقين) منسوخ بقوله صلي الله عليه وسلم " لاوصية لوارث " .

وقد ناقشه النافون بأمرين :

أولهما : أن الحديث المذكور خبر آحاد ، وقد تقرر أن الحق عدم جواز نسخ القرآن بخبر الآحاد .

ثانيهما : أن الحديث بتمامه يفيد أن الناسخ هو آيات المواريث لاهذا الحديث ، وتمامه : "إن الله أعطي كل ذي حق حقه ، فلا وصية لوارث" (١).

ويؤيد ذلك ما أخرجه أبو داود في سننه (٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالي : (إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين) وكانت الوصية كذلك حتي نسختها آية المواريث " .

الدليل الثالث : أن قوله تعالي : (واللاتي يأتين الفاحشة من نساءكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتي

---

(١) أخرجة الترمذي في سننه ، كتاب الوصايا ٤/٤٣٤ .

(٢) كتاب الوصايا ٣/١١٤ .

يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) (١) منسوخ بقوله صلي الله عليه وسلام : " خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا ، الثيب بالثيب جلد مائه ثم الرجم ، والبكر بالبكر جلد مائه ونفي سنه " (٢) .

وقد ناقشه النافون بأمرين :

أولهما : أن الناسخ هنا هو آية الجلد وآيه الشيخ والشيخة وقد جاء الحديث موافقا لها .

ثانيهما : بأن ذلك تخصيص لانسخ ، لأن الحكم الأول جعل الله له غاية هو الموت أو صدور تشريع جديد في شأن الزانيات .

هذه الأدلة والرد عليها ذكرها الشيخ الزرقاني في مناهل العرفان (٣) وعقب عليها قائلا : " من هذا العرض يخلص لنا أن نسخ القرآن بالسنة لامانع يمنعه عقلا ولا شرعا ، غاية الأمر أنه لم يقع لعدم سلامة أدلة الوقوع كما رأيت " .

والحق أن حديث : " لاوصية لوارث " ذكره الترمذي وحكم عليه بأنه حديث حسن صحيح .

أما بالنسبة لحديث الرجم فقد قال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح والعمل علي هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم منهم علي بن أبي طالب وأبي بن كعب وعبد الله بن

---

(١) سورة النساء الآية ١٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الحدود ٤١/٤ .

(٣) ١٣٨/٢ – ١٤٩ بتصرف .

مسعود وغيرهم قالوا : الثيب تجلد وترجم . وقال بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم منهم أبو بكر وعمر وغيرهما : الثيب إنما عليه الرجم ولايجلد ، وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم مثل هذا في غير حديث في قصة ماعز وغيره أنه أمر بالرجم ولم يأمر أن يجلد قبل أن يرجم ، والعمل علي هذا عند بعض أهل العلم وهو قول سفيان الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد " (١) .

وبهذا يتبين لنا سلامة أدلة وقوع نسخ القرآن بالسنة .

القسم الثالث :

نسخ السنة بالقرآن ، وقد اختلف العلماء بين مجيزين ومانعين ، بيد أن صوت المانعين هنا خافت ، أما المثبتون فيؤيدهم دليل الجواز كما يسعفهم برهان الوقوع ، ولهذا نجد في صف الإثبات جماهير الفقهاء والمتكلمين . ومنع هذا القسم الشافعي في إحدي روايتيه ، وقال : "وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له ، ليتبين توافق القرآن والسنة " (٢) ، ومع ذلك فنقل هذا عن الشافعي فيه شئ من الاضطراب أو إرادة خلاف الظاهر .

وقد استدل المجيزون بوقائع منها :

١ - أن التوجه إلي بيت المقدس كان ثابتا بالسنة وليس في القرآن

---

(١) سنن الترمذي ٤١/٤ - ٤٢ .

(٢) الاتقان ٦٠/٣ تحقيق محمد أبو الفضل .

مـايدل عليـه ، وقـد نسخ بالقـرآن في قـولـه تـعالـي (فـول وجـهك شـطر المسجد الحرام) (١) .

٢ – أن وجـوب صـوم يـوم عـاشـوراء ، كـان ثابتـا بـالسـنة ونسخ بقـولـه تعالي : (فـمن شهد منكم الشهر فليصمه) (٢) أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : " كان عاشوراء صياما ، فلما أنزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر " .

٣ – أن النبي صلي الله عليـه وسلم أبرم مع أهل مكة عـام الحديبيـة صلحا كان من شروطه أن من جاء منهم مسلما رده عليهم وقد وفَّي بعده في أبي جندل وجماعة من المكيين جاءوا مسلمين ، ثم جاءته امرأة فهم أن يردها فـأنزل الله : (يَاأيْهَا الَّذينَ أَمَنُوا إذَا جَاَءكُم المؤْمنَاتُ مُـهاجِرات فَامْتَحَنوهُنَّ اللَّهُ أعلَمُ بإِيمَانهنَّ ، فَإنْ عَلمْتُمُوهُن مَؤْمِنَاتٍ فَلاَتَرجعُوهُنَّ إِلـيَ الْكُفأر لاَهُنَّ حِلُ لهم ولاهُم يَحِلُّونَ لَهُن) (٣) .

القسم الرابـع :

نسخ السنة بالسنة : وتحت هذا القسم أربعة أنواع :

١ – نسخ سنة متواترة بمتواترة .

٢ – نسخ أحادية بآحادية .

---

(١) سورة البقره الآية ١٤٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٥

(٣) سورة الممتحنة الآية ١٠ .

٣ - نسخ سنة آحادية بسنة متواترة .

٤ - ونسخ متواترة بآحادية .

أما الثلاثة الأول فجائزة . وأما الرابع وهو نسخ سنة متواترة بآحادية ففيه خلاف ، والجمهور علي عدم جوازه .

النسخ ببدل وبغير بدل

الحكم الشرعي الذي ينسخه الله ، إما أن يحل محله حكما آخر أولا فإذا أحل محله حكما آخر فذلك هو النسخ ببدل ، وإذا لم يحل محله حكما آخر فذلك هو النسخ بغير بدل .

والنسخ إلي بدل : إما إلي بدل أخف ، وإما إلي بدل مماثل ، وإما إلي بدل أثقل .

١ - والنسخ إلي بدل أخف . فإن قوله تعالي : (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلي نساءكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفاعنكم فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) [١] ناسخة لقوله : (كتب عليكم الصيام كام كتب علي الذين من قبلكم) [٢] فقد كان محرم عليهم الأكل والشرب والوطء إذا صلوا

---

(١) سوة البقرة الآية ١٨٧ .

(٢) سورة البقره الآية ١٨٣ .

العتمة أو ناموا في ليل رمضان .

٢ - النسخ إلي بدل مماثل للحكم الأول في خفته أو ثقله علي نفس المكلف كنسخ التوجه إلي بيت المقدس بالتوجه إلي الكعبة في قوله تعالي : (قد نري تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) (١) .

٣ - النسخ إلي بدل أثقل من الحكم المنسوخ بأن كان حد الزني التعنيف والحبس في البيوت وذلك في قوله : (واللاتي يأتين الفاحشة من نساءكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت) (٢) .

نسخت بالجلد في قوله : (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) (٣) ، أو الرجم في قوله : (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) وبحديث الرسول صلي الله عليه وسلم السابق ذكره . ومنها أنه تعالي نسخ إباحة الخمر بتحريمها ، وكان في تحريمها مشقة علي أنفسهم حيث أنهم اعتادوا شربها ، وفيها نشوتهم وتجارتهم . ومنها أنه تعالي نسخ مافرض من مسالمة الكفار المحاربين والترغيب في العفو والصفح بمثل قوله تعالي : (ود كثير من أهل الكتاب لويردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتي يأتي الله بأمره إن الله علي كل شئ قدير) (٤) ثم نسخ

(١) سوره البقرة الآية ٤٤.

(٢) سوره النساء الآية ١٥ .

(٣) سوره النور الآية ٢ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٠٩ .

الله هذا فقال : (أُذِنَ لِلَّذِيَن يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهمْ ظُلمُوا وإِنَّ اللَّهَ عَلَيَ نَصْرِهِمْ لَقَدِيُر الذَّين أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْر حَق إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ولولا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعض لهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهاَ اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً ، وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنَ يَنْصُره إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عزِيزٌ ، الَّذيَن إِن مكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَة وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرواُ بِالْمعرُوفِ وَنَهَوْا عنِ المُنكَر وَلِلهِ عَاقِبةُ الأمُورِ) (١) .

ثم شدد الله وعزم عليهم في النفير للقتال وتوعدهم إن لم ينفروا فقال : (إِلاَّ تَنفرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَتَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَي كُلِ شَئ قَدِيرٌ . إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِيَن كَفَرُوا ثَانَي أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحبه لاَتَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ، فَأَنَزلَ اللهُ سَكِينَتهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنودٍ لَم تَرَوْها وجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفلَيِ وكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الُعلْياَ واللَّهُ عَزِيزٌ حكِيمٌ) (٢) .

أما النسخ إلي غير بدل : كنسخ الصدقة بين يدي نجوي رسول الله ﷺ في قوله تعالي : (ياأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) (٣) ، ثم نسخ هذا التكليف عن الناس من غير أن يكلفهم بشئ مكانه ، بل تركهم دون أن يوجه إليهم حكما آخر فقال :

---

(١) سورة الحج الآيات من ٣٩ – ٤١ .

(٢) سورة التوبة الآيتان ٣٩ – ٤٠ .

(٣) سورة المجادلة الآية ١٢ .

(أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله) [١] .

أمثله للنسخ

وقد ذكر السيوطي في الإتقان [٢] احدي وعشرين آية اعتبرها من قبيل النسخ وسأذكر بعضا منها مشفوعه بالتعليق عليها .

١ - قوله تعالي : (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) [٣] منسوخه بقوله (فول وجهك شطر المسجد الحرام) [٤] وقد قيل - وهو الحق - إن الأولى غير منسوخة لأنها في صلاة التطوع في السفر علي الراحلة وكذا في حال الخوف والإضطرار وحكمها باق والثانية في الصلوات الخمس ، والصحيح أنها ناسخة لماثبت في السنة من استقبال بيت المقدس .

٢ - قوله تعالي : (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين) [٥] قيل : منسوخة بآية المواريث ، وقيل بحديث " إن الله قد أعطي كل ذي حق حقه ، فلا وصية لوارث " [٦] .

---

(١) سورة المجادلة الآية ١٣ .

(٢) ٣/٦٥ - ٦٨ .

(٣) سورة البقرة الآية ١١٥ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٤٤ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٨٠ .

(٦) رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

٣ - قوله : (وعلي الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) [١] نسخت بقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) [٢] لما في الصحيحين من حديث مسلمة بن الأكوع أنه قال : لما نزلت (وعلي الذين يطيقونه فديه طعام مسكين) كان من أراد أن يفطر افتدي حتي نزلت الآية التي بعدها فنسختها " .

وذهب ابن عباس إلي أنها محكمة غير منسوخة : روي البخاري عن عطاء أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ : (وعلي الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) قال ابن عباس : ليست بمنسوخة هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لايستطيعان أن يصوما فيطعمان كل يوم مسكينا " - وليس معني (يطيقونه) علي هذا يستطيعونه ، وإنما معناه يتحملونه بمشقة وكلفة .

وبعضهم جعل الكلام علي تقدير لا النافية ، والمعني : أو علي الذين لايطيقونه .

٤ - قوله: (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) [٣] نسخت بقوله (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) [٤] وقيل يحمل عموم الأمر بالقتال علي غير الأشهر الحرم فلانسخ .

٥ - قوله : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزراجا وصية لأزواجهم

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٤ .

(٢) سورة البقرة الاية ١٨٥ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢١٧ .

(٤) سورة التوبة الآية ٣٦ .

متاعا إلي الحول غير اخراج) [١] نسخت بقوله (والذين يتوفون منكم ويذورن أزواجا يتربص بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) [٢] .

وقيل : إن الآية الأولي محكمة لأنها في مقام الوصية للزوجة إذا لم تخرج ولم تتزوج ، أما الثانية فهي لبيان العدة ، ولاتنافي بينهما.

٦ - قوله : (وإن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) [٣] نسخت بقوله (لايكلف الله نفسا إلا وسعها) [٤] .

٧ - قوله : (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) [٥]نسخت بقوله : (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) [٦].

* * * *

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٠ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٤ .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٨٦ .

(٥) سورة الانفال الآية ٦٥ .

(٦) سورة الأنفال الآيه ٦٦ .

المبحث الخامس
فى
﴿ المطلق والمقيد ﴾

بعض الأحكام الشرعية يرد تارة مطلقا في فرد شائع لايتقيد بصفة أو شرط ، ويرد تاره أخري متناولا له مع أمر زائد علي حقيقته الشاملة لجنسه من صفة أو شرط ، وإطلاق اللفظ مرة وتقييده أخري يعرف في كتاب الله " بمطلق القرآن ومقيده " .

تعريف المطلق والمقيد

المطلق : هو مادل علي الحقيقة بلاقيد ، فهو يتناول واحداً لابعينه من الحقيقة ، وهو مع القيد كالعام مع الخاص ، كالفظ (رقبة) في قوله (فتحرير رقبة) فإنه يتناول عتق إنسان مملوك وهو شائع في جنس العبيد مؤمنهم وكافرهم علي السواء .

والمقيد : هو مادل علي الحقيقة بقيد ، كالرقبة المقيدة بالإيمان في قوله (فتحرير رقبة مؤمنة) .

أقسام المطلق والمقيد وحكم كل منها

وللمطلق والمقيد أقسام منها مايلي :

١ - أن يتحد السبب والحكم : كالصيام في كفارة اليمين : جاء مطلقا

في القراءة المتواترة بالمصحف (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم) [١] ، ومقيداً بالتتابع في قراءة ابن مسعود "فصيام ثلاثة أيام متتابعات " فمثل هذا يحمل المطلق فيه علي المقيد لأن السبب الواحد لايوجب المتنافيين ، ولهذا قال قوم بالتتابع [٢] ، وخالفهم من يري أن القراءة غير المتواترة - وإن كانت مشهورة - ليست حجة ، فلا يوجد مقيد حتي يحمل عليه المطلق .

٢ - أن يتحد السبب ويختلف الحكم : كالأيدي في الوضوء والتيمم ، قد قيد غسل الأيدي في الوضوء بأنه إلي المرافق ، قال تعالي : (ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلي الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلي المرافق) [٣] ، وأطلق المسح في التيمم قال تعالي (فتيمموا صعيدا طيبا فامسحو بوجوهكم وأيديكم منه) [٤] ، فقيل : لايحمل المطلق علي المقيد لاختلاف الحكم . ونقل عن الغزالي عن أكثر الشافعية حمل المطلق علي المقيد هنا لاتحاد السبب وإن اختلف الحكم .

٣ - أن يختلف السبب ويتحد الحكم : وفي هذا صورتان :

أ - الأولي : يكون التقييد واحداً كعتق الرقبة في الكفارة ، ورد اشتراط الإيمان في الرقبة بتقييدها بالرقبة المؤمنة في كفارة القتل الخطأ ، قال تعالي : (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل

---

(١) سورة المائدة الآية ٨٩ .

(٢) وبه قال أبو حنيفة والثوري ، وهو أحد قولي الشافعي .

(٣) سورة المائدة الآية ٦ .

(٤) سورة المائدة الآية ٦ .

مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) [١] وأطلقت في كفارة الظهار ، قال تعالي : (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبه من قبل أن يتماسا) [٢] أيضا أطلقت في كفارة اليمين قال تعالي : (لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة) [٣] فقال جماعة منهم المالكية وكثير من الشافعية يحمل المطلق علي المقيد من غير دليل فلا تجزئ الرقبة الكافرة في كفارة الظهار واليمين .

قال السيوطي : " ومن العلماء من لايحمله ، ويجوّز إعتاق الكفارة في كفارة الظهار واليمين " [٤] .

ب - الثانية : أن يكون التقييد مختلفا ، كالكفارة بالصوم ، قيد الصوم بالتتابع في كفارة القتل ، قال تعالي : (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله) [٥] ، وفي كفارة الظهار ، قال تعالي : (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا) [٦] .

وفي صوم المتمتع بالحج فجاء تقييده بالتفريق ، قال تعالي : (فمن

(١) سورة النساء الآية ٩٢ .
(٢) سورة المجادلة الآية ٣ .
(٣) سورة المائدة الآية ٨٩ .
(٤) الإتقان ٣/٩٢ .
(٥) سورة النساء الآيه ٩٢ .
(٦) سورة المجادلة الآية ٣ .

تمتع بالعمرة إلي الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم) (١) .

أما في كفارة اليمين فقد جاء الصوم مطلقا دون تقييد بالتتابع أو التفريق ، قال تعالي : (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام) (٢) أيضا أطلقه في قضاء رمضان قال تعالي : (فمن كان منكم مريضا أو علي سفر فعدة من أيام أخر) (٣) . فالمطلق في هذا لايحمل علي المقيد . لأن القيد مختلف . فحمل المطلق علي أحدهما ترجيح بلامرجح .

٤ - أن يختلف السبب ويختلف الحكم : كاليد في الوضوء والسرقة قيدت في الوضوء إلي المرافق قال تعالي : (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلي الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيدكم إلي المرافق) (٤) ، وأطلقت في السرقة قال تعالي : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) (٥) فلايحمل المطلق علي المقيد إذا اختلف السبب والحكم .

قال الزركشي (٦) : " إن وجد دليل علي تقييد المطلق صير إليه ، وإلا فلا ، والمطلق علي إطلاقه ، والمقيد علي تقييده ، لأن الله خاطبنا بلغة

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٦ .

(٢) سورة المائدة الآية ٨٩ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٤ .

(٤) سورة المائدة الآية ٦ .

(٥) سورة المائدة الآيه ٣٨ .

(٦) البرهان في علوم القرآن ١٥/٢ .

العرب والضابط أن الله تعالي إذا حكم في شئ بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقا نُظِر ، فإن لم يكن له أصل يُرَدُّ إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به ، وإن كان له أصل غيره لم يكن رده إلي أحدهما بأولي من الآخر " أ . هـ .

* * * *

المبحث السادس

فى

« المجمل والمبين »

من أجل وأهم علوم القرآن التي يتوقف علي معرفتها فهم الكتاب العزيز والوقوف علي تفسيره ، علم مجمله ومبينه ،وذلك لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً . وقد أوقفنا الإمام جلال الدين السيوطي علي أبعاد هذه الحقيقة في النوع الثامن والسبعين : " في معرفة شروط المفسر وآدابه " (١) فقال :

" قال العلماء : من أراد تفسير الكتاب العزيز ، طلبه أولا من القرآن فما أُجمل منه في مكان فقد فُسِّر في موضع آخر منه ،وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه ،وقد ألف ابن الجوزي كتاباً فيما أجمل في القرآن في موضع ،وفسر في موضع آخر منه .

وأشرت إلي أمثلة منه في نوع المجمل ،فإن أعياه ذلك طلبه من السنة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحه له ، وقد قال الشافعي رضي الله عنه كل ما حكم به رسول الله صلي الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن قال تعالي(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِ لِتَحْكُمَ بَينَ النَّاسِ بِماَ أَرَاكَ اللَّهُ) (٢) في آيات آخر .

---

(١) انظر الإتقان ١٧٤/٤ تحقيق محمد أبو الفضل .

(٢) سورة النساء الآية ١٠٥.

وعلم " المجمل والمبين " من علوم المعاني المتعلقة بأحكام القرآن الكريم.

ومن ثم تناوله الأصوليون بالبحث ضمن أصناف دلالات المنظوم من الكتاب والسنة ،والإجماع [١] .

وخليق بنا أن نتعرف في مستهل بحثنا هذا عن معني المجمل في اللغة ، ثم في إصطلاح الأصوليين .

أما المعني اللغوي: فهو مأخوذ فهو مأخوذ من الجمع ،ومنه يقال : أجمل الشيء جمعه عن تفرقه وأجمل له الحساب كذلك . والجملة : جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره [٢] ومعني ذلك هو المشتمل علي جملة أشياء كثيرة غير ملخصة .

وأما معني " المجمل " في إصطلاح الأصوليين : فقد عرفه الآمدي " بأنه ما لا دلالة علي أحد أمرين لا مزية لأحدهما علي الاخر بالنسبة إليه [٣] .

فقوله : ماله دلالة : ليعم الأقوال والأفعال وغير ذلك من الأدلة المجملة .

وقوله علي أحد أمرين " إحتراز عما لا دلالة له إلا علي معني واحد .

وقوله " لامزية لأحدهما علي الآخر بالنسبة إليه " إحتراز عن اللفظ الذي هو ظاهر في معني وبعيد في غيره كاللفظ الذي هو حقيقة في شيء ،ومجاز في آخر .

---

(١) انظر الإحكام في أصول الأحكام لسيف الدين الدين الآمدي ١٨٨/٢ ط/دار الكتب العلمية – بيروت

(٢) لسان العرب لابن منظور حرف اللام فصل الجيم ١٢٨/١١

(٣) انظر الأحكام للآمدي ٩/٣ .

ومن التعاريف الصحيحة للمجمل : أنه ما لم تتضح دلالته [١] .

أما معني " المبين " فإنه مأخوذ من المبين وهو في أصل اللغة : وضوح الشيء وإنكشافه ،يقال : بان الشيء بياناً : اتضح فهو بَيِّن [٢] .

وقال الراغب : والبيان : الكشف عن الشيء ، وهو أعم من النطق مختص بالإنسان ، ويسمي ما بُين به : بياناً ..... [٣] وقال : "وسمي الكلام بياناً لكشفه عن المعني المقصود وإظهاره نحو (هذا بيان للناس) [٤] وسمي ما يُشرح به " المجمل " و" المبهم " من الكلام بياناً نحو قوله (ثم إن علينا بيانه) [٥] ويقال بينته وأبنته إذا جعلت له بياناً تكشفه نحو : (لتبين للناس ما نزل إليهم) [٦] . ... " [٧] .

أسبابا الإجمال :

للإجمال أسباب عديدة ، وقد أورد الإمام السيوطي منها في الاتقان أسباب تسعة .

السبب (الأول) : الإشتراك كما في قوله تعالي: (والليل إذا عسعس) [٨] فإن لفظ عسعس موضوع لأقبل وأدبر ، وكما في قوله

---

(١) الإتقان ٥٣/٣.

(٢) لسان العرب حرف النون فصل الباء ٦٧/١٣.

(٣) المفردات ص ٦٩.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٣٨ .

(٥) سورة القيامة الآية ١٩ .

(٦) سورة النحل الآية ٤٤ .

(٧) المفردات للراغب الاصفهاني ص ٦٩ .

(٨) سورة التكوير الآية ٧ .

سبحانه :(والْمُطَلَّقَاتُ يتربَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) [١] ، فإن القرء موضوع للحيض والطهر ، فهذان مثالان للإشتراك في اللفظ المفرد وقد يقع الإشتراك في اللفظ المركب كما في قوله تعالي : (أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح) [٢] ، فإنه يحتمل الزوج والولي إذ كل منهما بيده عقدة النكاح .

(الثاني) : الحذف ، كما في قوله تعالي : (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن ومايتلي عليكم في الكتاب في يتامي النساء اللاتي لاتؤتونهن ماكتب لهن وترغبون أن تنكحوهن ..) [٣] .

فإنه يحتمل تقدير كل من "في" و " عن " علي معني وترغبون في نكاحهن ، أو عن نكاحهن [٤] .

(الثالث) : اختلاف مرجع الضمير ، كما في قوله تعالي : (إِلَيهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطيِّبُ والْعَمَلُ الصَّالِحُ يرْفَعه) [٥] فإن الكلام يحتمل الآتي :

١ – عود ضمير الفاعل في " يرفعه إلي ماعاد عليه ضمير " إليه " وهو الله تعالي .

٢ – عود الضمير إلي " العمل " والمعني : أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب .

٣ – ويحتمل عوده إلي الكلم الطيب ، أي أن الكلم الطيب وهو التوحيد

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٨ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٧ .

(٣) سورة النساء الآية ١٢٧ .

(٤) انظر الإتقان ٣/٥٣ .

(٥) سورة فاطر الآية ١٠ .

يرفع العمل الصالح ، لأنه لايصح العمل إلا مع الإيمان [١] .

(الرابع) : العطف والإستئناف ، كما في قوله تعالي : (ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ..) [٢] . وقد سبق بيان ذلك في مبحث المحكم والمتشابه .

(الخامس) : غرابة اللفظ كما في قوله تعالي : (إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) [٣] . فإن العضل أصله : الشد بالعضل ، ثم تجوَّز به في كل منع شديد .

فمن أغرب ما تميزت به لغتنا العربية أن (العين) و (الضاد) إذا وقعنا فاءً و عينا للكلمة فإنهما تفيدان عندئذ معني الحبس و الشدة ؛مثل : سيف عضب أي شديد قاطع ؛ و العضد : و هو أشد عضو في الإنسان .

(السادس) : عدم كثرة الاستعمال الآن ؛ كما في قوله تعالي : (يلقون السمع و أكثرهم كاذبون) (٤) أي يسمعون .

ومثله قوله عالي : (ثَانِيَ عَطْفِهِ) [٥] أي : متكبرا ؛ فهو كناية عن التكبر والإعراض عن الآخرين . ونحو قوله : (فأصبح يقلب كفيه) [٦] . أي : نادما .

---

(١) انظر الإتقان ٣/٣٥ .
(٢) سورة آل عمران الآية ٧ .
(٣) سورة البقرة الآية ٢٣٢ .
(٤) سورة الشعراء الآية ٢٢٣ .
(٥) سورة الحج الآية ٩ .
(٦) سورة الكهف الآية ٤٢ .

(السابع) : التقديم والتأخير في الكلام كما في قوله تعالي : (وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِكَ لَكَانَ لِزَاماً وأجَل مُسَمًّي) [١] ، وأصله : ولولا كلمة وأجل مسمي لكان لزاما . والمعني : ولولا العدة بتأخير عذاب من كفر بمحمد صلي الله عليه وسلم وذلك في قوله تعالي : (بل الساعة موعدهم) [٢] - وأجل مسمي لأعمارهم أو لعذابهم - وهو يوم القيامة أو قتلهم بالسيف يوم بدر - لكان العذاب لازما حصوله لهم .

قال أبو حيان [٣] : " والظاهر عطف (وأجل مسمي) علي (كلمة) وأخر المعطوف عن المعطوف عليه ، وفصل بينهما بجواب (لولا) لمراعاة الفواصل ورؤوس الآي " أ هـ .

وقد مثل لذلك الإمام السيوطي أيضا بقوله تعالي : (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) [٤] ، و(عنها) متعلق بيسألونك أي يسألونك عنها كأنك حفي بها أي معتن بشأنها حتي علمت حقيقتها ووقت مجيئها أو كأنك حفي بهم أو معتن بأمرهم فتجيبهم عنها لزعمهم أن علمها عندك " [٥] .

(الثامن) : قلب المنقول ، نحو قوله تعالي : (وطور سينين) [٦] أي سيناء ، وقوله : (سلام علي إل ياسين) [٧] أي علي إلياس [٨] .

---

(١) سورة طه الآية ١٢٩ .

(٢) سورة القمر الآية ٤٦ .

(٣) في البحر المحيط ٣٩٧/٧ .

(٤) سورة الأعراف الآية ١٨٧ .

(٥) انظر البحر المحيط لأبي حيان ٢٣٩/٥ .

(٦) سورة التين الآية ٢ .

(٧) سورة الصافات الآية ١٣٠ .

(٨) الإتقان ٥٤/٣ .

(التاسع) : التكرير القاطع لوصل الكلام في الظاهر ، كما في قوله تعالي : (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم ...) [١] (لمن) بدل من الذين استضعفوا والضمير في (منهم) إن عاد علي المستضعفين كان بدل بعض من كل ويكون الذين استضعفوا قسمين : مؤمنين وكافرين ، وإن عاد الضمير علي (قومه) كان بدل كل من كل ، وكان الإستضعاف مقصوراً علي المؤمنين ، وكان الذين استضغفوا قسما واحداً ، ومن أمن مفسراً للمستضعفين من قومه [٢] .

هذه الأسباب التسعة للإجمال في القرآن الكريم ، والتي ذكرها السيوطي في الإتقان . بيد أن الله تعالي - جلت حكمته وعظمت رحمته - قد تكفل بالبيان وعهد إلي رسوله صلي الله عليه وسلم بالتبيين ، فقال عز من قائل : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم) [٣]، وقال جل شأنه : (ثم إن علينا بيانه) [٤]ومن ثم نتناول بعد ذكر أسباب الإجمال :

مواقع التبيين :

يرد التبيين لما أجمل في القرآن الكريم علي ثلاثة وجوه :

(الأول) : اتصاله بالمجمل ومجيؤه عقبه مباشرة في نفس الآية كما

---

(١) سورة الأعراف الآية ٧٥ .

(٢) انظر البحر المحيط ٩٤/٥ .

(٣) سورة النحل الآية ٤٤ .

(٤) سورة القيامة الآية ١٩ .

في قوله تعالي : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتيَّ يَتَبَّينَ لَكُمُ الْخَيطُ الأبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) [١] إذ لولا (من الفجر) لبقي الكلام الأول علي تردده واحتماله [٢] فقد روي عن سهل بن مسعد قال : أنزلت (وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) ولم ينزل (من الفجر) وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل حتي يتبين له رؤيتهما فأنزل الله بعد (من الفجر) فعلموا أنما يعني الليل والنهار [٣] .

(والثاني) : انفصاله عن المجمل بمجيئه في آية أخري نحو قوله تعالي : (فَإِنْ طَلَقَهَا فَلاَتحل لَهُ مِنْ بَعْدِهِ حَتيَّ تَنْكَحَ زَوْجاً غَيْرَهُ) [٤] بعد قوله (الطلاق مرتان) [٥] ، فإنها بينت أن المراد به الطلاق الذي يملك الرجعة بعده [٦] ، قال الزركشي [٧] : " إذ لولا هذه القرينة لكان الكل منحصرا في الطلقتين ، وهذه القرينة وإن كانت مذكورة في سياق ذكر الطلقتين إلا أنها جاءت في آية أخري ، فلهذا جعلت من قسم المنفصلة " .

ومن ذلك قوله تعالي : (وجوه يومئذ ناضرة إلي ربها ناظرة) [٨] فإنه

---

(١) سوره البقرة الآية ١٨٧ .

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن ٢/٢١٥ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه .

(٤) سورة البقرة الآيه ٢٣ .

(٥) سورة البقرة الآية ٢٢٩ .

(٦) الإتقان ٣/٥٤ .

(٧) في البرهان ٢/٢١٦ .

(٨) سورة القيامة الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

دل علي جواز الرؤية ، ويفسَّر به قوله تعالي : (لاتدركه الأبصار) (١) ، حيث كان مترددا بين نفي الرؤية أصلا وبين نفي الإحاطة والحصر دون أصل الرؤية (٢) . قال ابن المسيب : لاتحيط به الأبصار ، وقال الزجاج : لاتحيط بحقيقته ، والإدراك يتضمن الإحاطة بالشئ والوصول إلي أعماقه وحوزه من جميع جهاته (٣) . وأخرج ابن جرير الطبري عن عكرمة أنه قيل له عند ذكر الرؤية : أليس قد قال : (لاتدركه الأبصار) ؟ فقال : ألست تري السماء ؟ أفكلها تري ! (٤) .

وقوله تعالي : (مالك يوم الدين) (٥) جاء بيانه في قوله تعالي : (وما أدراك مايوم الدين ثم ماأدراك مايوم الدين : يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) (٦) .

وقوله تعالي : (أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا مايتلي عليكم) (٧) فسره قوله : (حرمت عليكم الميتة) (٨) .

وقوله تعالي : (فتلقي أدم من ربه كلمات فتاب عليه) (٩) جاء بيانه في قوله جل شأنه : (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) (١٠) .

---

(١) سوره الأنعام الآية ١٠٣ .
(٢) البرهان ٢/٢١٦ .
(٣) تفسير ابن كثير ٤/٦٠٥ .
(٤) الإتقان ٣/٥٥ .
(٥) سورة الفاتحة الآية ٤ .
(٦) سورة الإنفطار الآيات ١٧ – ١٩ .
(٧) سورة المائدة الآية ١ .
(٨) سورة المائدة الآيه ٣ .
(٩) سورة البقرة الآية ٣٧ .
(١٠) سورة الأعراف الآية ٢٣ .

وقوله تعالي : (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) (١)، فسره قوله سبحانه : (وإذا بشر أحدهم بالأنثي ظل وجهه مسودا وهو كظيم) (٢) .

وقوله تعالي : (اهدنا الصراط المستقيم) (٣) جاء بيان الصراط في فاتحة سورة البقرة فقال تعالي : (الم ذلك الكتاب لاريب فيه) (٤) .

وكذلك قوله تعالي : (صراط الذين أنعمت عليهم ..) (٥) بين المنعم عليهم في سورة النساء في قوله تعالي : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) (٦) .

أيضا قوله تعالي : (وأوفوا بعهدي اوف بعهدكم) (٧) ، قال العلماء(٨) : بيان هذا العهد قوله : (لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمنتم برسلي ..) (٩) إلي آخره فهذا عهده وعهدهم (لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار ..) (١٠) .

---

(١) سورة الزحزف الآية ١٧ .
(٢) سورة النحل الآية ٥٨ .
(٣) سورة الفاتحة الآية ٦ .
(٤) سورة البقرة الآية ١ .
(٥) سورة الفاتحة الآية ٧ .
(٦) سورة النساء الآية ٦٩ .
(٧) سورهة البقرة الآية ٤٠ .
(٨) الاتقان ٣/٥٥ .
(٩) سورة المائدة الآية ١٢ .
(١٠) سورة المائدة ١٢ .

الموقع الثالث :التبيين بالسنة النبوية ، " لأن القرآن والحديث أبداً متعاضدان علي استيفاء الحق وإخراجه من مدارج الحكمة ، حتي إن كلا منهما يخصص عموم الآخر ، ويبين إجماله " (١) .

وقد بينت السنة أفعال الصلاة والحج ومقادير نصب الزكوات في أنواعها(٢) .

ومن ذلك تفسيره عليه السلام لقوله تعالي : (فلاتعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين) (٣) بيّن صلي الله عليه وسلم ماأعدّه الله تعالي لأوليائه في الجنة فقال " فيها مالاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولاخطر علي قلب بشر " .

ومن ذلك بين قوله تعالي : (وظل ممدود) (٤) فوصف صلي الله عليه وسلم الجنة فقال : " فيها شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، ولايقطعها " .

وفسر " المغضوب عليهم " باليهود و " الضالين " بالنصاري في سورة الفاتحة عن عدي بن حاتم ، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " إن المغضوب عليهم هم : اليهود ، وإن الضالين هم : النصاري " (٥) .

وتفسير الظلم بالشرك ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما نزلت

---

(١) البرهان ٢/١٢٩ .

(٢) الإتقان ٣/٥٦ .

(٣) سورة السجدة الآية ١٧ .

(٤) سورة الواقعة الآية ٣٠ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه وحسنه ، وابن حيان في صحيحه .

هذه الآيـة : (الذين آمنـوا ولـم يلبـسـوا إيمانـهم بـظلـم أولـئك لهم الأمـن وهـم مهتدون) [١] شق ذلك علي الصحابة ، فقالوا : يارسول الله وأينا لايظلم نفسه ؟ قال : " إنـه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ماقال العبد الصالح : (إن الشرك لظلم عظيم) [٢] إنما هو الشرك [٣] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " صلاة الوسطي صلاة العصر " [٤] .

ومن ذلك تفسير القوة بالرمي ، في قوله تعالي : (وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وماتنفقوا من شئ في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لاتظلمون) [٥]، أخرج مسلم [٦] عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول وهو علي المنبر : "وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة .. " ألا وإن القوة الرمي ، ألا وإن القوة الرمي ، ألا وإن القوة الرمي " .

ومن ذلك تفسير الكوثر في قوله تعالي : (إنا أعطيناك الكوثر) روي عن أنس بن مالك قال : أغفي رسول الله صلي الله عليه وسلم إغفاءة ، فرفع رأسه متبسما ، فإما قال لهم ؛ و إما قالوا له : يا رسول الله لم

(١) سورة الأنعام الآية ٨٢ .

(٢) سورة لقمان الآية ١٣ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه . كتاب الصلاة . باب ما جاء في صلاة الوسطي أنها العصر ١/ ٣٤٠ .

(٥) سورة الأنفال الآية ٦٠ .

(٦) في صحيحه . كتاب الإمارة . باب فضل الرمي و الحث عليه ٣ ١/ ٤ ٦ شرح النووي.

ضحكت ؟ فقال : " أنزلت آنفا سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم ، إنا أعطيناك الكوثر) حتي ختمها ، فلما قرأها قال : " هل تدرون ما الكوثر " ؟ قالوا : الله و رسوله أعلم ، قال " فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة وعليه خير كثير ، عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد الكواكب " (١) .

ومن ثم : تبرز معاضدة السنة الشريفة للقرآن العظيم بالبيان والتبيين كما قال عز شأنه : (وماأنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدي ورحمة لقوم يؤمنون) (٢) .

* * * *

---

(١) أخرجة ابو داود في سننه . كتاب السنه ٢٣٧/٤ ، والترمذي بنحوه ، كتاب الجنة ٦٨١/٤ .

(٢) سورة النحل الآية ٦٤ .

﴿ الخاتمة ﴾

وبعد .. فهذا مايسره الله لي وأعانني عليه

وحسبي بهذا العمل أن أكون قدمت إلي المكتبة الإسلامية بحثا فيه جدة وطرافة ، وفيه متعة علمية .

حسبي هذا ، وحسبي أن أكون قد أرضيت رغبتي العلمية ، التي لم آل في إرضائها جهدا ، ولم أدخر في إشباعها وسعاً ، فإن رضي الناس بعد ذلك ، فذلك من فضل الله ، وإن كانت الأخرى ، فذلك هو جَهْدُ المقل ، وطاقة الناشئ ، الذي يرقب من وراء الغيب أملا فسيحا ، ونوراً يهتدي به .

والله سبحانه وتعالي أسأل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه ، وأن ينفع به أناسا أخلصوا قلوبهم لله ، وأن ينفعني به في دنياي وآخرتي ، وأن يحقق لي به ماتصبو إليه نفسي .. والحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين .

عفاف النجار

﴿ فهرس المصادر والمراجع ﴾

١ - القرآن الكريم .

٢ - الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

٣ - الطبعة الأولي ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

٤ - اعجاز القرآن للباقلاني ، علي هامش الاتقان للسيوطي .

٥ - الأعلام . لخير الدين الزركلي ، الطبعة الثالثة - بيروت .

٦ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوي (ط / الحلبي).

٧ - البحر المحيط لأبي حيان . دار الفكر ١٩٩٢ .

٨ - براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور للدكتور محمد بدري عبد الجليل ، مطبعة الجيزة بالاسكندرية ١٩٨٠ .

٩ - البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، دار الفكر ، الطبعة الثالثه.

١٠ - التبيان في أقسام القرآن لابن القيم الجوزية ، مكتبه المتنبي . القاهرة .

١١ - تفسير القرآن العظيم . للحافظ ابن كثير طبعة .

١٢ - تفسير المنار ، الشيخ رشيد رضا طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٣ - ثمار الجنان في أفنان من علوم القرآن للدكتور جودة محمد المهدي الطبعة الأولي .

١٤ - جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر بن جرير الطبري دار الحديث بالقاهرة ١٤٠٧ هـ .

١٥ - الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، دار الكتب العلمية بيروت ط . أولي .

١٦ - الجواهر في تفسير القرآن للشيخ طنطاوي جوهري ط . المكتبة الإسلامية .

١٧ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم للألوسي ، دار احياء التراث العربي بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٩ هـ .

١٨ - سنن أبي داود ، دار الفكر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

١٩ - سنن الترمذي . القاهرة . المكتبة الإسلامية ١٩٦٢ .

٢٠ - شرح النووي علي صحيح مسلم ، دار احياء التراث العربي بيروت .

٢١ - صحيح البخاري ، دار احياء التراث العربي ١٩٥٨م .

٢٢ - صحيح مسلم . دار احياء التراث العربي ١٩٥٦ م .

٢٣ – فتح القدير ، للشوكاني الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار الفكر ١٣٩٣هـ .

٢٤ – فتح الباري لابن حجر ، مطبعة مصطفي الحلبي .

٢٥ – في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ، دار احياء التراث العربي .

٢٦ – الكشاف عن حقائق التنزيل ، للزمخشري ، دار المعرفة ، بيروت .

٢٧ – لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر بيروت .

٢٨ – مأدبة الله ، للدكتور الحسيني أبو فرحة ، مطبعة إبكا .

٢٩ – مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ، بيروت دار العلم .

٣٠ – مفاتيح الغيب التفسير الكبير للامام فخر الدين الرازي .

٣١ – المفردات في غريب القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني طبعة الحلبي .

٣٣ – منهج الدراسة العقلية الحديثة في التفسير لفهد بن عبد الرحمن . مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠١هـ . ١٩٨١م .

٣٤ – النبأ العظيم ، للدكتور محمد عبد الله دراز دار القلم الطبعة الثانية ١٣٩٠ – ١٩٧٠ م .

والحمد لله رب العالمين

﴿ فهرس مواضيع الكتاب ﴾

المبحث الثالث

المبحث الرابع

المبحث الخامس

المبحث السادس

رقم الإيداع ١٩٩٦/١١٧٣٦

I.S.B.N. 977-19-2068-5

تاريخ رقم الإيداع ١٩٩٦/١١/٢٠